ربما لو وصفت لكم بيتي لشعرتم بالبؤس لكني اعيش البؤس في حد ذاته ، لم اتكلم بهذه القسوة من قبل لكن قلبي قد تمزق من شدة التحمل، قد نركض خلف الحياة لكنها تبتعد كلما اقتربنا منها، فالنقطة السوداء في داخلي يكبر حجمها كل يوم في هذه المدينة، وهذا الحي بالتحديد،لست وحيدة لكن لا يوجد من ينصت الي، لا داعي لوصف موقع بيتي بالتفصيل لكني طالما اردت هدم بيوت جيراننا كي لا ينظرو لنا نظرة الاحتقار من فوق

لم يكونو اغنياء لكن كنا نحن الفقراء في بيتنا الشبيه بالقبو باب بشق كبير يمكن لاي شخص ان يمرر يده لفتح لباب من الداخل ، مع الأثاث القديم لم يكن كثيرا قليل فقط بحجم بيتنا اريكة ممزقة من كل جانب تفوح منها رائحة القمامة ، اعتقد ان مصدرها كان القمامة وهذا سبب رائحتها ، كانت هذه في منتصف البيت بجانبها مائدة كانت جيدة مقارنة بالأريكة فوقها اشياء تافهة لأختي اريانا تلعب بهم، ينقسم الى غرفتين غرفة لي ولاخواتي وغرفة لابي وامي كان في غرفتنا متكأ يسعنا نحن الثلاثة وطاولة نضع عليها ثيابنا ، وكان مطبخنا عبارة عن طاولة نضع عليها الأواني ، لم نكن

نطبخ الطعام لانه غالبا ما نأكل الرغيف مع الحليب، حتى ان امي لا تبقى في البيت دائما تذهب باحثة عن العمل لكن لاتجد لم يكن هناك من يعتمد على إمرأة كبيرة في السن للعمل عنده ، اما ابي فكان يخرج في الصباح الباكر ولا يعود حتى اقتراب غروب الشمس احيانا يأتي بالحليب واحيانا بضعة دنانير واحيانا لا يأتي بشيئ فقط الحزن على وجهه والارهاق في كامل جسده ، لم اسعد يوما بمنظره فقد كان يتعب كثيرا لكن لا يكسب إلا القليل ، اما عن اختاي فكانت اريانا هي الصغرى لا تتوقف عن اللعب طوال اليوم مشاكسة كثيرا ومرحة لحد كبير كانت اسعد فرد بالعائلة لأنها لا تعي شيئا ، اما عن اختي إلينار فكانت تحب القراءة وطلب العلم لكن حالنا لا يسمح لنا بأن ندخلها الى مدرسة لهاذا كانت تتجول طوال اليوم في الشوارع وتقرأ الجرائد المرمية في حاويات القمامة امام المقاهي وكانت تقرأ الإعلانات وتتبع اخبار البلاد كثيرا ، كانت تقرأ بشكل جيد لأنها تعلمت من جارتنا العمة أوركيدا، لم اكن احب هذه المرأة وهي تبادلني نفس المشاعر، تظهر نفسها الانسانة الجيدة التي تح ب الخير للجميع وتساعد الجميع وتربي قطة لا تفارقها وتنظر بنظرة الأبله اللذي لا يفهم شيئ من الحيل ولا ينوي شيئ وكل الأفعال التي تقوم بها تكون من تلقاء نفسها لكني لا أؤمن

بروح هذه المرأة فتلك النظرة التي لا تفهم ولا تعي تخفي فهما كبيرا وحيلا كبيرة اظل اراقب تصرفاتها كل ما سمحت لي الفرصة، تستغل حب الينار للقراءة لتكسبها وتستطيع الدخول الى تفاصيل حياتنا

دون ان تتعب ، كانت العمة اوركيدة سابقا معلمة في مدرسة خاصة للبنات لهذا كانت لديها مهارة في الوصول الى حب سكان الحي إلا انا طبعا فلا اسمع لسواعد هذه المسنة أن تلامس رأسي كأنها شخص حكيم وينال الحب،

كان اليوم السبت اللذي لا اعمل به استغل هذا اليوم للتجوال فليس لدي شيئ الهي به نفسي امر على شوارع المدينة كلها واراقب ، لم يكن لدي اصدقاء العب معهم مثل اريانا ولا جرائد ومجلات مثل الينار ، فقط اتجول ، انا لا اجيد القراءة ولا الكتابة ولم ادخل اي مدرسة من قبل ولا ارغب في هذا فليس لدي وقت اصلا، كان الاطفال يرتعبون مني قليلا لشكلي المخيف بعض الشييئ كون شعري المجعد كثيفا للغاية يبدو كمظلة من الخيشة على رأسي ، لكن وجهي كان جميلا ليس سيئا كوجه لوليا إبنت جيراننا كما ان بيتهم ملتسق ببيتنا ، هي في مثل سني قريبا ستكمل دراستها وتنتقل الى جامعة بعيدة من هنا ولن ارى وجهها المشؤوم كل صباح ، فتاة

متعجرفة مغرورة تلازم شرفة البيت طوال اليوم بلا انقطاع مع كتاب لا يفارق يدهاوتعتبر نفسها اميرة في قصر كونها وحيدة والديها ، كانت مدللة كثيرا يشترون لها كل ما تطلبه على امل ان تصبح كاتبة في المستقبل ، لو طلبو مني النصيحة لأختصرت لهم مستقبلها في كلمة ، فاشلة ، تخاف من القطط وحتى

الفراشات ، كانت تأخذ مني العديد من اللكمات على وجهها عندما كنا صغارا ، كما اني تعرضت كثيرا للتوبيخ من امي بسببها ، وبسبب والديها اللذين يشتكون لامي عن ضربي المتكرر لابنتهم الفاشلة،

رغم كل ما حصل كانت تستحق عددا اكبر من اللكمات لان وجهها يثير الاشمئزاز ، وبعد ان كبرنا اصبحت تستغل دراستها للتكبر علي وتضنني اهتم لأمرها ،الكثير من الفقر والقليل من المال والكثير من الاطفال والقليل من الطعام كانت صورة ترسمها شوارع مدينتها كل يوم اين سيذهب بنا الحال هكذا ، اصبحت اخشى على وضعنا ان يزدد سوءا سوف نموت من الجوع حتما ، حتى الحيوانات لم تجد ما تأكله اصبحت القطط المشردة تأكل النبات من شدة الجوع ، ومن سيطعمها فنحن لم نجد ما نأكله ، اجسادنا نحفت وملامحنا اتسعت ، الأطفال يفزعون من ما اوصلني اليه الجوع ، وانا في

كل تلك الأفكار المتشابكة في ذهني إذا بذاكر يرمي إلي كرته أنه طفل مهذب يسكن في الحي المجاور لحينا، يتيم الأم ويعيش مع خالته الصغرى لديها طفل صغير وتعتبر ذاكر اخا اكبر لإبنها ، عائلة محترمة ومهذبين ولطفاء ، لا تغادر وجهها الإبتسامة رغم كل مشاكله ا مع زوجها ، فهو لا يرغب في العيش في ذلك الحي لكنها لاتستطيع مغادرة بيت اهلها لانه الذكرى الوحيدة من اهلها ، هناك روايات تقول بأن والدها كان ارهابي وخطط لعملية لكن تم القبض عليه ، تبقى له البنت الوحيدة خالة ذاكر الصغرى فتاة محتشمة لا تغادر البيت إلا مع زوجها وترتدي برقعة على رأسها.

%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%

استيقظت مسرعة في الصباح كي اذهب امام المقهى قبل رمي القمامة في الشاحنة كي اجد جريدة اليوم لأقرأها كنت انتضر هذه الجريدة بفارغ الصبر منذ ايام ، تركت اختي اريانا نائمة فهي تظل طوال الليل مستيقظة تلعب بالعلب الخشبية لم اجد اختي وجد ربما خرجت في الصباح الباكر كي تتجول كعادتها في الشوارع وتثير المشاكل مع الناس ، تحمل حقدا كبيرا

على الأغنياء ضنا منها انهم اخذو حق والدي ليعيشو حياة الرفاهية ، رأسها لا يستقبل اي معلومة منطقية تضل عدوانية مع الكم الهائل من العصبية ، حتى في البيت تظل في صراع دائم مع امي لتحمي والدي من سهام امي الحادة ، احزن لحالها احيانا فهي تظل طوال الاسبوع تعمل لأجلنا لكن العم رائف لا يدفع لها حقها دائما وهي تتحمل ذلك لتضمن الرغيف كغداء لنا،
ذهبت وجدت امي تغسل الثياب خرجت مباشرة فقد كنت مسرعة ، الكثير من الناس في المقهى يعني الكثير من الجرائد في القمامة هذا يوم حظي ، انتظرت حتى انتهى البعض من القراءة واخذت الجرائدة في الزاوية الخلفية للمقهى بقيت اقرأ الجريدة تلو الأخرى حتى توقفت عند خبر مثير مكتوب ان البلد مقبل على ازمة اقتصادية يسوء الحال منها ، ضحكت كثيرا فلا يوجد اسوء من حالنا اذن نحن في أمان.

اقتربت من امامي قدمين رفعت رأسي وجدت رجلا يبدو فقيرا جدا تعجبت لوقفه امامي رسمت على وجهي ملامح الاستفهام اظنه فهم سؤالي قبل ان اتفوه به

_كنت اراقبك عندما كنت تبحثين في حاوية القمامة على الجرائد اثار فضولي اود ان اعرف ماللذي تريدين معرفته من خلال الجريد

يبدو من كلامه رجلا مثقفا عكس ما تظهره ثيابه البالية

_انا أحب القراءة فقط وارفه عن نفسي

يبدو وكأنه توقع الإجابة فلم يندهش ولم يجهز أي سؤال حتى اني اضنه لن يتكلم بعدها

_هل تعيشين هنا ؟!

_نعم بيتي ليس ببعيد من هنا

بدا لي وكأنه يود معرفة شيئ عني لكني تجاهلت الأمر وحملت كومة الجرائد وتقدمت إنصرافا من امامه رغم ان ملامحه ليست مخيفة لكن خبر الجريدة لا يجدر بي ان استهين به الى هذا الحد ، ابتعدت بضع خطوات من امامه فإذا بي اسمع صوتا ينادي من خلفي استدرت وانا في قمة الحرص لأي موقف من هذا الغريب لكنه قال لي بكل أدب:" هل يمكنني أن اطلب منك طلبا"

%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%

تعبت كثيرا اليوم وانا اتجول بلا فائدة سأعود الى البيت سيكون افضل لو اتمدد قليلا قبل عودة والدي ، سحقا إنها يوليا كعادتها تبدو كطائر البلشون حين يرمي قدمه لاصطياد سمكة لكنه لا يتمكن من الامساك بها،

مضحكة ، قبل ان اصل الى باب البيت تفاجأت بالينار قادمة مع رجل طويل القامة ثيابه قديمة كأول معطف صمم في التاريخ ، إقتربت مني إلينار عكس الرجل اللذي قلت سرعة خطواته عندما رآى نظرة حادة مني، سألتها بكل جدية" الينار من هذا الرجل ومااللذي اتى به الى باب منزلنا "

_ الينار "انه السيد ليونيد وهو يود مقابلة والدي في امر يخصني "

_ مالامر المهم اللذي جعله يأتي الى باب بيتنا

_ الينار : "اختي انتبهي لنبرة صوتك اماه فانا لاريد ان اقع في موقف محرج أمامه ارجوك"

اثارت انزعاجي الينار وهي تخفي الامر المهم لكني تمالكت نفسي كي اعرف هذا الرجل دخلنا البيت سوية ، امر محرج ان نستظيف رجلا غريبا الى بيتنا المهترئ ودون علم مسبق ، كانت حال البيت فوضى عارمة امي لم تكن موجودة تركت آريانا لوحدها واستغلت فرصتها لقلب البيت رأسا على عقب ، حتى وإن كان منظما سيبدو كفوضى لكنه كان أسوئ بكثير ، نضرت الى الينار وجدت خدودها محمرة ورأسها ينزل الى الارض شيئا فشيئا ومقلاتاها لا تكاد تتوقف من الحركة اللاإرادية ، عرفت انها شعرت بإرتباك امام الرجل لكني

فورا بدأت بتوضيب الأريكة واجلست الرجل ، لم يكن لدينا سوى بقايا الرغيف اليابسة فجلبت له بعض الماء ، جلسنا وبدأت استفسر عن الأحوال لكي يحدثوني عن الأمر المهم لكن الرجل كان شخصا كتوما جدا ومختصر الإجابة فكلما سألته يجيب بقدر السؤال ولا يضيف اي كلام غير النظر الى زوايا البيت ربما كان مندهشا لحالنا المزري ،بدأت الينار تفتح بعض المواضيع مع الرجل حتى أني خجلت لأنها تتكلم بها _الينار: هذا ليس بيتنا وإنما هو أجرة كنا نسكن في مدينة بعيدة لكن الظروف فيها إزدادت سوءا فانتقلنا الى هذه المدينة وصاحب البيت صديق قديم لوالدي وجد عملا في حقل تابع للدولة فإنتقل الى هناك مع سكن بالمجان وترك بيته لوالدي كي يسكنه هذه الفترة مقابل القليل من المال كل سنة ، لم نستطع تصليحه لان ظروفنا قاسية لكن عندما يتحسن حالنا سننتقل الى بيت افضل فهذا لم يعد صالحا للسكن.

ظل الرجل ينصت ويحرك رأسه دون ان يتفوه بكلمة فتاة حمقاء ما دخل هذا الرجل حتى تتحدث له بكل هذا التفصيل عن ظروفنا وبعد لحظات فتح والدي الباب يحمل كيسا به علبة حليب ، رفع رأسه نحونا ليتفاجأ بوجود الرجل الغريب بقي ثواني وهو يحدق وفمه مفتوح من شدة التعب ثم تقدم ورحب بالرجل لكنه لم يجد شيئا ليمهد به حديثه منتظرا منا التفسير نظر إلي

فأشرت له انـي لا اعلم شيئا نظر الـى إلينار وقال لـها بصوت منخفض " ماللذي حصل يابنتـي"

إلينار:" اهلا بك ابي اعرف على السيد ليونيد انه كاتب حر ويعمل حاليا في دور النشر في العاصمة "

"سيد ليونيد هذا ابي قاسم "

ابي: " اهلا وسهلا كيف حالك"

ليونيد:" تشرفت لمعرفتك سيد قاسم ، كنت اود التكلم معك بشأن بنتك الينار " ابي"نعم تفضل "

ليونيد:" بصراحة انا في كل مرة آتي الى المدينة لزيارة اختـي ارى بنتك تبحث عن الجرائد ولاحظت إهتمامها بالقراءة ، بالصدفة لقيتها اليوم ثانية تحمل الجرائد وأتانـي الفضول لمعرفة سبب بحثها المتكرر عن الجرائد ، فتحدثت إليها وعلمت أنها مهتمة بالقراءة كما أن لديها نقد رائع للمقالات ، طلبت منها أن تسافر معي كي تعمل في دور النشر فنحن نستقبل أصحاب الهمم العالية للقراءة لكنها ترددت في الإجابة ثم رفضت ما دفعني الى المجيئ اليك للتحدث معك عن هذا الموضوع فنا ارى بأن العمل مناسب لبنتك وهناك ستتوفر لديها فرص كثيرا لتطوير شغفها "

وقبل أن ينهي السيد ليونيد كلامه قاطعه والدي بنبرة غليظة:" اعذرني يا سيد ليونيد لكني لن اسمح لبنتي ان

تعيش بعيدا عن المنزل بمفردها فهذا سيخرج عن عاداتنا " ..... .

ليونيد:" اتفهم موقفك يا سيد قاسم لكني ارى بانه لمصلحة بنتك أن تخاطر بالعادات لتخرج من الظروف القاسية التي تعيشها"

إحمر وجه والدي بعد سماع عبارة السيد ليونيد ورفع حاجبه قائلا:" انت لا شأن لك بظروفنا سيد ليونيد وانا قلت لك آخر كلام عندي وإنتهى النقاش "

اندفعت الينار بكل قوتها لتغير رأي والدي لكن والدي صرخ في وجهها"لا تتدخلي " ذهبت الينار مسرعة الى الغرفة لكني لم الحق بها خشيت أن يزداد الجو صراخا ويتخاصم والدي مع الرجل لكن السيد ليونيد تكلم خجلا "آسف على الإزعاج سيد قاسم لم اكن انوي سوى الإقناع ومعذرة عن سوء التصرف " لم يرد والدي اي كلمة له حتى ذهب ليونيد منصرفا ذهبت وراءه مسرع ة

"سيد ليونيد ، سيد ليونيد ، نعتذر نيابة عن والدي عن الموقف اللذي مررت به لكن لا تحاول الرجوع مرة أخرى ، لكي تحسن من أحوالنا ، اختي لاتحتاج للعمل وهي لتزال صغيرة"

ليونيد " لا عليك بنتي ، اعتذر مجددا عن الإزعاج "كان يبدو غاضبا بعض الشيئ لكن شخصه هادئ جدا، لم يكن يستحق ما حصل له.

دخلت البيت وجدت والدي قد رمى بجسده المنهمك على الأريكة واغمض عيناه اقتربت منه وقلت له هل انت جائع ، احضر لك الحليب، . . . .

طلب مني الماء فقلت بتهور:" هل نتحدث بعدها" فتح عيناه ولا اكاد اهرب من نظراته " مااللذي ستحدثيني به بعد اللذي سمعته "

" ابي انا لادخل لي بالموضوع وجدته قد وصل الى باب بيتنا لم أشأ ان امنعه من الدخول كما اني لم اكن اعرف من الموضوع شيئ "،

%%

كل ماتمنيته هو أن احمل كتبا حقيقية واقراءها بكل ارتياح ، لم اطلب بيتا افضل من هذا ولا مالا ولامأكولات متنوعة مثل التي يأكلها جيراننا ، لم أتوقع من أبي أن يقف مثل الجدار الضخم أمام أحلامي وطموحاتي بكل أنانية ، كنت أود أن اشتري الجريد مثل الناس العاديين بدلا من البحث في القمامة عن بقاياها ، كنت اقرأ مقالا نصفه مبلل بالقهوة ، ومليئة بالتمزقات،

تحملت أوامر اختي وجد كل صباح قبل ان تذهب الى عملها و بكاء اريانا اللذي لا يتوقف حتى منتف الليل واصوات مزعجة تصدرها عندما تلعب بعلبها الخشبية ،تحملت شجار امي اللذي لا يتوقف مع والدي، ودفاعها الدائم عن آريانا ، وكأننا نصرخ عليها دون سبب يدفعنا لذلك ، مع كل هذا كنت ابقى اشاهد لا اتفوه برأي أو كلمة ، ولا احد يدرك اني موجودة في هذا البيت اصلا ، لقد رميت حياتي فداءا للقراءة لم اكن اود سوى الفوز في داخلي كي لا اشعر بالا معنى في حياتي

بكيت بعمق على الفرصة التي سلبت مني ، لم ادرك إن والدي اللذي يهتم لأمرنا سيمنعني من الحياة لمرة، شحنت كل الطاقة التي بداخلي ومسحت دموعي وخرجت بكل غضب لاجد وجد تضع رأسها على كتف والدي وكأنها تقول له معك حق في كل ما فعلت، اشتعلت نيران غضبي فكيف لها أن تلعب دور الخائنة تجاه مستقبل اختها ، لطالما اشفقت عليها من معاناتها ولكن يا للأسف هي لا تنظر لمن حولها ، تريد كسب والدي لصفها ،صرخت بكل قوتي "ماشأنكم في حياتي ، !! ، نحن نتحمل الفقر لأننا لا نملك خيارا سواه ،

لكني كنت سأتخلص من هذا الفقر بسفري وانت لم تسمح لي يا أبي!! انت لا تشعر بما أشعر به الآن ، لماذا ؟! لماذا وقفت في طريقي بكل هذه الجرأة ومنعتني ان اعيش كما اريد!" . . . . . .

قاطعتني وجد بصراخها المعتاد "تأدبي!!" نظرت لها نظرة المهزوم من المعركة اتأدب!؟ اتأدب ؟! ، تضنين نفسك سيدة البيت لأن ابي يشاركك هذه اللحظة " لا تتحمسي! فانت لست سوى فتاة انانية تشعر بالغيرة لأني في طريقي الى الحياة " . . . . . .

ابتسمت بكل ارتياح وقالت "تظنين اني امنعك من الحياة لكني انقذك من الموت " . . . . . .

اندهشت لهدوءها المفاجئ وكلماتها المختصرة والملغمة لم أفهم من قولها سوى الحياة والموت وبعد لحظات حمل والدي نفسه ودخل الى غرفته دون أن يجيبني

"ابي!! انت لم تجبني على سؤالي ! لن انسى هذا الموضوع بسهولة وسأضل خلفك حتى تجيبني "

دخلت وجد الغرفة لتغير ملابسها لحقتها مباشرة ولم انسى ما قالته " هل التخلص من الفقر يعتبر موتا!؟ "

"اجيبي لا تثيري غضبي وجد! " . . . . . .

نظرت الي كعادتها المستهزءة "اليتار. انت لازلتي صغيرة على العمل فلا تتسرعي بإتخاذ قراراتك دون والدي" . . . .

اسرعت في تغيير ملابسها وهي تتحدث عبارتها المستفزة وانكبت على الفراش وخطت رأسها حتى تتهرب من الحديث معي ، يظنون ان التهرب سيمنحني وقتا لأهدأ لكني قلبي قد إنطفأ فكيف أنسى.

%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%

إستيقظت في الصباح الباكر كي اذهب الى العمل كنت تعبت جدا من كثرة الحوادث ليلة البارحة ذهبت لأحضر الحليب لم اجد والدي ، لقد خرج دون أن يأكل شيئا ، شربت القليل من الحليب وذهبت مسرعة الى السيد رائف انه صاحب محل الرغيف في الحي وانا اعمل لتوصيل الرغيف الى البيو ت ، فور وصولي اعطاني كيسا مملوءا وطلب مني إيصاله الى بيت بعيد قليلا وانا في الطريق إلتقيت بذاكر الولد المهذب وفي وجهه علامات السرور إبتسمت معه "مرحبا ذاكر كيف حالك ؟! " . . . .

ذاكر :"انا بخير خالتي وجد"

"ما سبب كل هذه الفرحة على وجهك في"

وقبل أن اكمل حديثي خرج زوج خالة ذاكر يحمل صناديق كبيرة ويضعها امام البيت سألت ذاكر عن هذه الصناديق

ذاكر :" نحن سننتقل من هذا الحي ، سوف نذهب الى مدينة جديدة ، " حزنت لذهاب هذا الطفل الرائع اشعر دائما بالتفائل حين أنظر الى وجهه صاحب اللون المصفر والعيون المصفرة

اكمل ذاكر حديثة قائلا:" سيأتي قريبنا بعد ان نرحل من هذا البيت سيصبح جاركم الجديد" ابتسمت وقلت اتمنة ان يكون لطيفا مثلك ودعته واسرعت في خطواتي كي اوصل الرغيف الى البيت ، بعد ربع ساعة من المشي وصلت الى وجهتي كان بيتا أبيضا من الخارج مدخله مغطى بالكامل بالور ود والنباتات كان اجمل بيت اذهب إليه منذ ان بدأت عملي ، دققت الباب مرتين وانتظرت لم يفتح احد الباب اعدت الدق لكن هذه المرة فتح خرجت سيدة تبدو في منتصف العمر تلبس زيا رسميا تبدو كأنها معلمة او صاحبة مكتب ادخلتني البيت وطلبت مني الجلوس وانا طبعا لم ارفض لأنها كانت فرصة كي انعم بذلك الرخاء كان البيت مليأ بالأثاث

الفاخر والزينة في كل مكان بقيت في المطبخ لحظات ثم جاءت بصحن من الرغيف والفاكهة وضعت الصحن امامي وطلبت مني ان امد يدي وسألتي بإبتسامة " كم عمرك ؟ "

قلت لها" 22 "

قالت لي: " إذن انت كبيرة! إنتهيت من الدراسة ؟"

كان هذا السؤال اللذي اشعر بإحراج حينما يطرح علي

" لا ، انا لم ادخل المدرسة"

ظننت انها ستتفاجأ لكنها ابتسمت وقالت " لا عليك، مازلت صغيرة ، تستطيعين الدخول الى المدرسة الآن" ضحكت على كلامها كثيرا فأنا شابة ولايمكن ان ادرس مع الأطفال،

" انا احتاج الى العمل اكثر من الدراسة ، فما اريده هو العيش ليس التفلسف في المدارس "

قالت بنبرة صوت متعجبة " لم اتوقع هذا الكلام من فتاة واعية ، فالمدرسة تكسبك العلم اللذي يمنعك من الفقر والجهل يابنتي"

اعجبني كلامها كثيرا فقد كان صوابا فعلا لو درست لما احتجت العمل لكني ياليتني إستطعت ذلك

قلت بنبرة اسى :" معك حق لكن هذه هي السلسلة الطبيعية لي قلو درس والدي لكان معلما الآن ولما اجبرتني الظروف على العمل كي اساعده ، ولكني لا اتمكن من الدراسة لاني آكل لقمتي من عملي "

وضعت يدها على كتفي وهي تواسيني فإعتذرت منها للخروج كي اكمل عملي ، عدت الى العمل مباشرة وساعدت السيد رائف على إعداد الرغيف والأفكار السيئة لا تغادر عقلي .

بعد يوم متعب توجهت الى البيت مباشرة سمعت الصراخ في مدخل الحي لا اعرف مصدره وبدأت اتوتر واسرع في خطواتي حتى اقترب من منزلنا واذا بالصوت يأتي من هناك رطمت الباب بقوة ودخلت لاجد الينار في حالة غضب شديد وشدت لفتت انتباهي اريانا تصرخ ببكاء مزج وخدها احمر كالطماطم فور ما رأتني الينار حتا رمت جسدها الغاضب علي وشدت يدي بكل قوتها وتنظر نظرة الحاقد حاولت ان افلت يدي لان منظرها لم يكن جيدا للنقاش ، امي لم تتوقف عن الصراخ عليها لكنها لم تتنازل وافلتت السم من فمها قائلة: " انت وانانيتك جعلت من هذا البيت سجنا لي" احمر وجهي غضبا لكني لم ارد الرد عليها لانها لا تعي ما تقول قلت لها " هذا هراء"

لم اغلق فمي بعد ودخلت في حالة من الصراخ وجسدها يرتجف من الالم النفسي ، امسكتها امي من شعرها ودفعتها نحو الغرفة لكن هذا لم ينفع عادت اسوى مما كانت عليه وبعد نصف ساعة من محاولاتها الفاشلة لضربي وبعدما يأست من الصمت طوال هذا الوقت وبدأت تخطر فبالي الكثير من الحوادث التي مررنا بها هي سابقا حتى اعادت لي جملة قلتها لها سابقا " لماذا سأموت اذا ابتعدت عن المعانات "

" هل تودين معرفة السبب!؟" قلت لها وبكل اسى" سأخبرك" لكن بعد ان اخبرك سوف تفعلين ما يحلو لك انا لن اقف في صف والدي ولن ادخل في شؤونك" هدأت واتسعت عيونها وبكل انصات منها اكملت كلامي" انت تشتاقين الى القصر اللذي كنا نعيش فيه، وتظنين اننا تركنا كل تلك الرفاهية واخترنا الفقر والجوع هنا!" " انت كنت صغيرة جدا لتري ماكان يحصل في ذلك البيت ، كنت طوال اليوم تلعبين في الحديقة وتركبين صغار الخيول وتأكلين ما لذ وطاب من المأكولات ، وتلبسين اجمل الثياب، وامي كانت تقضي النهار في المطبخ والتظيف والتسوق ، حتى انها كانت تبقى معك وقتا اطول وتعتني بك وتسرح شعرك كل صباح

اعترف بانك كنت تعيشين حياة الأميرات لكني كنت خادمة ، امسح احذيتهم القذرة واسكب لهم الطعام اللذي لم اتذوقه ولو لمرة واجلد إذا اخطأت في الحديث معهم ولا البس سوى لباس الخادمات طوال الوقت ، بينما ابي كان يتحمل العمل الشاق مع الكثير من الاهانة "
قاطعتني امي ولم تسمح لي بإكمال الحديث
قلت لها" دعيني افتح عقلها قليلا " لكنها اصرت على ابقائي صامتة ، لكن النار لم تتفوه بكلمة بقيت تحدق نحو الباب شاردة الذهن حتى دخل ابي وسرعت امي اليه تستفسر عن يومه كي لا ينتبه الى الفضاء حالنا اخذت النار الى الغرفة وعدت لاستقبل والدي لكنه شعر بتعابير وجهنا الحزينة كنت انوي ان لا اظهر له شيئ لكن جرحا قد فتح في داخلي، خطر ببالي أن احدث والدي بشأن النار وانه يجب أن يفكر في قرارها كي لا تعاتبه لاحقا وترهقه بكلماتها، جلست بجانبه وهو مغمض العينين من شدة الإرهاق بدأت اتأمل ملامحه وكأني أول مرة ارى وجه ابي ، كأن وجهه أرض جافة اختفت ملامحه وسط كل التجاعيد وعلامات الإرهاق تحت عينيه حتا تعابير وجهه تكاد تختفي ، لا اظن الناس سيرون تعابير فرح او تعاسة غيرنا نحن في البيت ، غالبا يرونه الرجل العابس اللذي لا يبتسم لكني

اراه الرجل المرهق اللذي يجمل جبلا على ظهره دون ان يشكو من الم ،اذكر آخر مرة رأيت فيها وجه ابي كان بريئا كوجه طفل تماما حينها كنت صغيرة جدا ، بعد وفاة جدتي تغيرت ملامحه كثيرا اصبحت امي هي المسؤولة والآمرة في العائلة لكنها لم تكن كجدتي ، جدتي كانت تعتاد الجلوس طوال الوقت وتطعمنا وتطلب من والدي إحضار المستلزمات قبل ذهابه الى العمل ، وكان وجودها يخفت اصوات الشجار بين امي وابي ،كما انها تصلح كل كسر في الكلام بينهم وتهدأ غضب والدي وتهتم لأمره وتطلب من امي استقباله وتسخين الطعام له عند عودته من المنزل ، لكن بعد وفاتها كبر والدي سنا وعلا صوت امي عليه واصبحت متشائمة تعيش على الصراخ في وجوهنا وكمية هائلة من الحقد على والدي وتلومه على صغرها ومعاناتها بسببه ،

سمعت طرقا للباب ناديت اريانا لتفتح وقبل ان تستجيب نهضت مسرعة لافتح لان الطارق شخص غريب عرفت هذا كون باب منزلنا يفتح من الخارج بسهولة، زاد عدد الطرقات والصوت يعلو دون ان يمهلنا الوقت للفتح ، اثار غضبي هذا التسرع فتحت الباب معقودة الحواجب ورافعة طرف شفاهي بكل عنف ، رأيت

رجلا طويل القامة ابيض البشرة اسود الشعر كأنه الليل بسواده وبياض قمره ، شردت طويلا وأنا اتأمل هذه الظاهرة الجميلة ، قاطعتني ضحكات اطفال ، استرجعت عقلي بسرعة لأتفاجأ بطفلتين توأمتين جميلتين ، قال لي بصوت قريب من الخشونة " عفوا يا آنسة هل تعرفين منزل السيدة اوركيدة؟"

تفاجأت بالسؤال بكل غباء مدموج بالوقاحة" نعم من أين تعرفها؟!!!!!" ،كان يجب ان اجيبه على سؤاله بإرشاده الى منزل العمة اوركيدة لكني كعادتي لا افكر قبل الإجابة توقعت منه قليلا من الغضب او إعادة السؤال كنوع من التجاهل لي لكنه فاجئني بإبتسامة عفوية ازل رأسه إحراجا ثم رفعه لينظر قائلا: " لدي رسالة من تلميذة لها سابقا اود ان اتعرف عليها واتحدث معها بشانها "وكأن هذا اليوم هو اليوم اللذي سأكشف فيه خبث العمة اوركيدة تلك العجوز الملطخة بالنفاق إضافة الى رشة من الكذب على وجهها " نعم منزلها ذاك اللذي امامه شجرة الرمان" شكرني بكل تواضع وذهب نحو البيت ناديته بصوت اقل من الصراخ " ستجد الباب السفلي مفتوحا ادخل مباشرة واصعد الى السلالم حتى تصل الى آخر طابق دق الجرس هناك ،" لم انهي ثم قلت له " انتظر سآتي معك كي لا تتلبك" دخلت مسرعة

الى البيت لبست وشاحي واسرعت خلفه صعدنا السلالم نتحدث سألته " هل هما طفلتيك ؟ " اجابني نعم وزوجتي هي نفسها تلميذة العمة اوركيدة " حقا!!؟ فاجأني بأن العمة اوركيدة خبثها لم لاينسى حتى بعد سنوات، " ماهي الرسالة التي تريد ايصالها الى العمة اوركيدة ؟! "لم انه كلامي حتى وصلنا الى الطابق

الثالث وقبل ان ندق الجري فتحت العمة اوركيدة باب الشقة افزعني شكل الحرباء اللذي تتميز به مع هذا كنت انوي تحملها لاعرف رسالة الرجل هذا استقبلته بإبتسامتها وعرفها عن نفسه فرحت كثيرا بعد سماعها إسم تلميذتها ادخلته والتفتت إلي شكرا لك على إيصاله ، وهذا آخر ما توقعته من هذه الحرباء بكل رحابة صدر تطردني ، واجهتها بما لا تطيقه هذه المرة:" هل يمكنني مشاركتكم الحديث هذه المرة ،ليس لدي شيئ لافعله" لم ترفض طلبي لكنها لم تقبله في نفس الوقت ، جلسنا في القاعة وبدأت العمة اوركيدة تتحدث عن تلميذتها وتصرفاتها سابقا وتمدح صنيعها ، قاطعها الرجل " هذا ما جئت لاجله اليوم ، زوجتي حدثتني عنك كثيرا وكم كنت مثلها الاعلى لآخر لحظة في حياتها" تفاجئت العمة وتوقفت عند كلمة آخر لحظة " ماللذي تقصده بهذا يا بني ، كيف حال زوجتك الآن واين هي ؟؟ ولم لم تاتي برفقتك ؟! "سكت الرجل وبدأ ينظر الى قدميه وهو

يقول" في السنوات الأخيرة تعبت زوجتي خاصة بعد إنجابها ، بقيت اشهرا قليلة وهي تصارع الألم حتى اغمضت عينها واختفت جميع اوجاعها ، " بدأت الدموع تتجمع في عيني الرجل كان منظرا لايحتمل كم ان الحياة قست عليه" تركت لي كنزا ثمينا ، الآن كل ما اراه هو ابنتي فقط، " انهارة العمة اوركيدة بالبكاء" هذا لا يصدق!!! لازالت في مقتبل عمرها انا لا اصدق انها ذهبت من هذا العالم فجأة " اكمل الرجل قائلا: "قبل وفاتها بشهرين طلبت مني ان نزورك وبأنها تريد شكرك على مجهوداتك طوال دراستها لكن حالتها ساءت وكأنها علمت ما سيحدث فطلبت مني ان اكتب رسالة لك لانها تعجز عن الكتابة هاهي الرسالة تفضلي اقرائييها " امسكت العمة الرسالة وهي تفتحها طلبت منها ان تقرأها بصوت مرتفع" معلمتي انت لكبر من ان تكوني معلمة عادية كلامك جرعة الأمل في حياتي بعد كل نصائحك التي عملت بها تخطيت كل الصعاب في مهنتي تقدمت خطوات ولازلت اتقدم لولا مرضي لكنت رأيتك لكن الحظ لم يحالفني ، انت ترياق العلم يا غاليتي اتمنى ان تكوني على ما يرام واتمنى ان القاك يوما "

كان الجو عابسا إلا جوي كا ن غامضا كيف يوجد مخلوق لديه امتنان للعمة اوركيدة لم اتقبل هذه الفكرة ودون ان ينتبه اي شخص لعدم تأثري خرجت ولم انظر

خلفي نزلت الدرج وانا افكر في اشياء كثير تشوش عقلي لم اعد استطيع التفكير حتى ، ذهبت مسرعة الى البيت وفور دخولي وجدت ابي يتناول الطعام بمفرده " أين البقية؟! " سألته لم ينتبه شكله يأكل لكن بمكان آخر، أبي"؟! " نعم بنيتي!! ، لم انتبه لدخولك اين كن ت كل هذا الوقت؟ " " كنت في منزل العمة اوركيدة

اوصلت رجلا كان يبحث عنها، أين اريانا الم تأتي امي والينار بعد؟ "

" امك وجدت عملا جديدا في ورشة للخياطة، ستقوم بالترتيب هناك مقابل اجر جيد يغط ي احتياجاتها "

سكت وكأن الأمر لا يتوقف عن العمل الجديد بل هناك امر سيئ قد حصل" ابي ماذا تقصد بإحتياجاتها ، الن تعمل لأجل البيت؟ "نظر إلي ومقلتاه ترتجفان " ماذا هناك ابي!!" اجابني بنبرة حدة "لا تفتحي هذا الموضوع ثانية واهتمي بعملك فقط، من الآن فصاعدا كل شخص يعمل لنفسه لا احد مسؤول عن الطعام في هذا البيت ،حتا انت يا وجد"

كان الغضب يلبس وجهه شعرت بالحيرة من كلامه لك ن خفت ان ينفجر ما بداخله واعجز عن تهدأته، توقفت عن الحديث وسكبت بعض الحساء والتزمت الصمت طوال جلوسنا، انتهى من الاكل والقى جسده على

الاريكة ينظر الى السقف ويفكر جمعت شجاعتي وسألته" ابي !! أين الينار و اريانا ؟!" انتظرت جوابه التفت الي" هما معا لا تقلقي " هذا لا يعتبر جوابا على سؤالي مللت ان اعصر الكلمات من فمه كأنها ليست بالمجان استأذنت منه وخرجت من البيت بقيت واقفة امام الباب انظر يمينا ويسارا حتى تأتي اختاي ، كان الظلام حالك بدأ العم سعيد بإشعال النور في الحي يحمل شعلته وينقل الى كل ناحية ، اصبح المنظر رائعا ومريحا للنفس لو كنت في وقت راحة طبعا لكن وضعنا لا يسمح بالراحة لم يأتيا عدت الى البيت وناديت بخوف " ابي ، لم تأتي اختاي، اخبرني ماللذي حدث واين ذهبا كي ازيح كمية التساؤلات من رأسي" لم يفتح عيناه اكتفى بالحديث فقط " بدأت امك الصراخ كعادتها ولأني رفضت عملها هذا ، ارتقى صراخها الى النبش في الماضي والتحسر لم اتملك اعصابي فدفعتها ، كان تصرفي بمثابة فرصة لها لكي تتخلص مني جمعت اشيائها وذهبت الى ورشة الخياطة لكي تعمل ، اما عن الينار ، هذه جزء آخر ، فزعت اريانا من كلام امها واتخذته على محمل الجد وبدأت بالإلتصاق بأمها والبكاء ، خرجت امك فلحقت بها اريانا ، حاولت الينار اعادتها لكنها لم تنصت فذهب معها خلف امها ، هذا ما حصل ، جيد انك لم تكوني هنا وإلا اشتعلت حرب حقيقية"

انصدمت كم ان قرار امي سريع وكأنه مجهز مسبقا ، " كيف تركتها تذهب في هذا الليل هذا خطر جدا "وبعد لحظات انفتح الباب ركضت مسرعة انها الينار بالتأكيد دخلت ومعها اريانا كانت تمشي بصعوبة نهض ابي وبقي ينتظر دخول امي لكنها لم تاتي" ، الينار اين امي ؟" لم تجبني شلحت حذاءها وجلست امام ابي " تعبت كثيرا كان الطريق طويلا" انها تدور حول الموضوع وهذا مايثير انزعاجي "إلينار!! ليس وقت الإلتفاف هيا احبيبي" زفرت بقوة وقالت " لم تدعني اذهب معها بقيت ألاحقها واتوسل اليها ان تعود لكنها كادت تضربني من شدة غضبها وعندما وصلنا وسط المدينة وجدت عربة اوقفتها وامرتني ان اعود مع اريانا ، اخذت كل هذا الوقت وانا امشي لم اعد احتمل الوقوف

" رفع ابي يده منفرا من تصرف امي اخذت اريانا الى الغرفة كل تنام فهذه الليلة لن تنام مع امي عدت الى ابي والينار " اعتقد ان هذه الورشة خارج المدينة لهذا ركبت في العربة ، لكن كيف استطاعت ايجاد العمل فيها....امر غريب "صرخ ابي دون ان يدري مايقول " لتذهب الى الجحيم سنرتاح من صراخها في هذا البيت، إذا كانت بكل تلك التعاسة فلتذهب وتعمل وتطعم نفسها انا لا حاجة لي بإمراة طائشة " لم يكن كلام والدي غريبا او قاسيا بل كان في محله لكن المشكلة في اريانا فهي

معتادة على البقاء مع امي سنواجه متاعب معها" إلينار من الآن فصاعدا ستبقين اريانا بجانبك اين ما ذهبتي طالما لا تعملين بينما انا ساحضر الطعام عند عودتي من العمل وستتعلمين مني كيفية إعداد الطعام لأنك ستطبخينه انت لاحقا ، " فتحت فمها لتتحدث لكني اتوقع ما ستقوله فقاطعتها مسرعة " ستأخذينها حتى الى المقهى فهاذا ليس خطرا" سمحت لها بالكلام " لا اقصد هذا لكني اتفقت مع السيد ليونيد لأذهب معه بدأ من الأسبوع المقبل "

عم الصمت ارجاء البيت انصدمت انا وابي فآخر نا توقعناه هو ان تضعنا الينار تحت الامر الواقع وتعند وتذهب معه ، وهذه المرة كانت بكامل ثقتها وإرادتها ، لم تتردد ولو للحظة بأن تكسر زجاج الخوف من غضب ابي ، نظرت الى ابي لكن هذه المرة لم يخرج الدخان من انفه ، بالعكس كان هادئا جدا ولم يفلت اي سؤال من لسانه ، عكسي تماما كان ردها كإستفزاز وقح بل في قمة الوقاحة مع حالتنا التي لا نحسد عنها ، " الينار!! إذا كنت تمزحين او تحاولين تجربة للحظة فهاذا ليس وقتك ، نحن لا يسعنا ان نستقبل صدمة اخيرا "

_" لا ياوجد ان لا امزح هذه المرة كما اني اتخذت قرارا نهائي بعد فترة من التخمين "

_" هل جننتي ؟!!!!!؟ اتودين ان ابرحك ضربا!؟ الن تكبري ؟! ، الينار سأقولها لآخر مرة هذا الرجل لن تقابليه مرة ثانية وسأذهب غدا للمقهى سألقنه درسا "

_" مادخلك يا وجد ما دخلك بأموري!! هل انت امي ام ابي حتى تهددني بكل هذه القسوة ؟ "

_" اسمعي حتى تعود امي لن تتحدثي بهذا الموضوع وإن مر عام عليه هل فهمت ؟! "

_" هذا ما تقولينه انت لكن ما سأفعله انا هو اني سأذهب مع السيد ليونيد في الموعد اللذي إتفقنا عليه ولست انت من تقرري بدلا مني "

_"ابي!! ابي!! لماذا تحدق بهذه الطريقة الن تمنعها من الذهاب مع ذاك الغريب "

بعد صمت طويل تحدث ابي بدم بارد:" إسمعوني كلاكما انا تعبت من الصراخ في هذا البيت ابقوني مرتاحا فقط فلم يعد شيئ فيه لأرتاح"

صمتت الينار وذهبت الى الغرفة مسرعة لتتهرب من النقاش" لن انسى هذا الموضوع وغدا سنكمل حديثنا يا الينار "

" ابي لماذا لم تمنعها ، لا تفعل هذا ارجوك"

_" لو كان لكلمتي شأن في هذا البيت لما وذهبت امك، دعك منها ستهدأ وتبقى"

" لكنها ليست غاضبة حتى تهدأ ، إتخذت قرارها ولا نفع في الحديث معها "

_" وجد اذهبي للنوم انا لا طاقة لي بالجدال "

اول مرة يدفعني ابي الى الغضب بسكوته لكن هذه المرة سنندم إن سكتنا عن قرار الينار.

" تصبح على خير ابي"

_" تصبحين على خير ، هيا "

بقيت مستيقظة فكل كلمة سمعتها اليوم لا تغادر ذاكرتي ، ماللذي تفعله امي ياترى!! هل سيبقونها تشتغل طوال الليل!! ترى اعطوها مكانا لتنام فيه ام جعلوها تنام مع الآلات ،وانا في كل تلك الأسئلة التي لا اجوبة لها بدأت العصافير تزقزق إقترب وقت عملي وانا لم انم بعد ، لا رغبة لي في النوم اصلا ، غادرت الفراش وتركت الينار غارقة في النوم ، دخلت المطبخ وجدت الرغيف على الطاولة ، تفقدت غرفة والدي مهلا والدي غير موجود فقط اريانا نائمة ، لبست حذائي وخرجت مباشرة الى العم رائف كان الوقت مبكرا لهذا سأعمل حتى منتصف النهار فقط هذا افضل،

لا احد في الشارع ماعدا العم سعيد ينضف الطريق ، وصلت المحل " صباح الخير سيد رائف"

_" صباح الخير ، اتيت باكرا اليوم ،ما خطبك!؟"

" افقت باكرا فقررت المجيئ كي اعودا قبل الموعد"

_" ليس من حظك هذه المرة فأنا في المساء ذاهب الى الكنيسة ، انت ستبقين في المحل "

اووووه يالهذا النحس اللذي يلاحقني منذ البارحة" حسنا سيدي لا مشكلة "

_" تبدين شاحبة ماللذي حصل لك "

" قصة طويلة لا اعتقد ان لدي الشجاعة كي ارويها ، لكني بخير فقط قلة النوم " لو اخبره اني لم انك طوال الليل ، " هل هناك رغيف جاهز كي اوصله ؟! " _" فقط الى عائلة كوين ، طلبو مني البارحة ان اجهز لهم عشر رغيفات وارسلها قبل السابعة ، انها العادية والنصف بقيت رغيفة واحدة سأجهزها ويكتمل الطلب، بما انك اتيت اوصليها"

سحقا عائلة كوين يعني عائلة يوليا اتنمى ان لا اقابلها ويكتملي حظي هذا اليوم

انتظرت بضع دقائق حتى جهزت الطلبية اخذت وعدت الى شارعنا وصلت الى باب منزل يوليا تفاجأت بأن

الباب كان مفتوحا ، صعدت الدرج حتى وصلت الى الطابق اللذي يسكنون فيه طرقت الباب كنت اسمع اصواتا وكأنهم يعدون شيئا او طعاما فتحت يوليا الباب ، كاد الإغماء يصيبني لم ارغب في مقابلتها ," هذه طلبيتكم عشر رغيفات بعشر عملات "

_" ما خطبك لما قلبت عيناك عندما رأيتني ، لهذه الدرجة تشعرين بالغيرة!! ها ها لا امزح ، هيا انصرفي "

" احظري العملات وسوف اغادر دون ان انتظر اذنك ،فتاة متعجرفة'

_" الم ينبهك العم رائف ان تحسني التعامل مع الزبائن ، فطبيعتك الساقطة لا تصلح مع الناس "

قبل ان الطخ وجهها بالرغيف جاءت امها لترى من في الباب وفور ان رأتني احظرت لي العملات وذهبت فورا

_" سأختفي من هذا الشارع البائس لفترة وبعد عودتي لن تتمكني من اخذ توقيعي يا دودة "

ثقتها بنفسها لا حدود لها ، كما انها لا تمل من احلام يقظتها التافهة بأن تصبح كاتبة لا مثيل لها ،

عدت الى المحل تعب كثيرا اشعر بالإرهاق ، هذا بسبب عدم النوم ، مر الوقت بصعوبة ، كان الساعة بسنة كاملة حتى انهى العم رائف إعداد الرغيف وطلب مني البقاء في المحل كما اوصاني بتناول الرغيف إن شعرت بالجوع،

" مهلا سيد رائف ، سيد رائف!!"

_" نعم! "

" علي ان آخذ الرغيف الى البيت لا اعلم ان كان ابي سيعود الآن ام لا واختاي لوحدهما في البيت " _" اسرعي إذن سأبقى لبعض الوقت ليثما تعودين"

" شكرا سيد رائف"

جمعت ثلاث رغيفات واسرعت الى البيت حتى لا يوبخني السيد ، فتحت الباب ودخلت لم اجد احدا في البيت" ترى اين ذهبو " " لابد انهم لم يعودو من المقهى

" تركت الرغيف فوق الطاولة واسرعت ناحية المقهى اللذي اعتادت الينار الذهاب اليه لقراءة الجرائد ، لم اجدها هناك ترى اين ذهبت ، هذه الفتاة ستصيبني بالجنون حتما ، عدت مسرعة الى المحل لا بد وان السيد قد انتبه لتأخري وصلت اخيرا

_" لما تأخرتي سمحت لك بايصال الرغيف وليس بالأكل لا تعيدي هذا مرة ثانية واإلا لن اعطيك الإذ ن"

"آسفة سيد رائف لقد"..

_" لا نزيد من المبررات اخبرتك سابقا اني لا اقبل العامل كثير التبرير وها انت تبدأئين بالتبرير "

" آسفة ، سأنتبه اكثر في المرة القادمة "

ذهب السيد وبقيت بالمحل ابيع الرغيف الجاهز دون توقف او راحة ، اقترب موعد الإغلاق ، جمعت بقايا الرغيف التي لم تباع في كيس ورتبت المحل واغلقته ثم اتجهت الى البيت وفي طريقي التقيت بالعم رائف عائدا من الكنيسة برفقة أمه المسنة ، مشيت وكأني لم اره، ذهبت الى البيت فتحت وحالما وصلت كانت رائحة الحليب تعم المكان عرفت ان ابي عاد من العمل ، فتحت الباب جاءت اريانا ركضا " الم تأتي امي يا وجد ؟" رمقتني بنظرة بريئة للغاية لم اتحمل كل تلك الموجة " لا ،ستأتي بعد ان تكمل عملها ، وستحضر لك هدية"

_" حقا!! ستكون دمية القش مثل التي تملكها نيلا وسنلعب معا بها اليس كذلك"

" ربما ههههه " كانت اريانا اكثر شخص لا مبالي في هذه العائلة لكن بعد ذهاب امي اصبحت تهتم لكل الشجارا ت

" مرحبا ابي ، كيف حالك ؟"

_" بخير يابنتي ، ضعي الرغيف على الطاولة سيجهز الحليب ونتناول العشاء معا ، "

" حسنا ، لكن الوقت مبكر على العشاء سنجوع في الليل "

" _" لا اليوم سينام الجميع قبل السابعة ولا اود اي نقاش "

" حسنا ، إلينار رائحة الحليب قوية ربما جهز!!"

_" ليس بعد "

بقيت اتحدث الى والدي حتى جاءت الينار واحضرت الحليب،

" كان اليوم متعب كثيرا لم انم طوال الليل وبدأت العمل باكرا"

في تلك الاثناء كانت الينار شاردة الذه ن" الينار لمذا لا تاكلين ؟"

_" يوليا ستذهب الى المدينة كي تتعلم اتقان الكتابة "

"آاا فهمت ألامر ، في الصباح طلبو عشر رغيفات وانا قمت بايصالها ، عندما وصلت الى البيت وجدتهم

مشغولون كثيرا ، وهذا مايبرر ثقتها الزائدة عن العادة، غبية ، ومن سيقرأ لتافهة مثلها"

_" العالم"

كانت كلمة كبيرة جدا عندما قالتها الينار وحالها حزين ، كانت متأثرة كثيرا بما ستتوصل اليه يوليا

_"ستحقق حلمها وتكسب الأموال والسعادة في وقت واحد. ، اما انت فستبقين توصلين الرغيف طوال اليوم وتأكلين الكثير منه" ،

الأمر أشبه بأن تقرصك باعوضة اسفل قدمك وانت تريد النوم ، أثار كلامها اشمئزازي وكنت اعرف انها تريد إثارة الفوضى لتفعل ما فعلته امها ، تدير ظهرها وتذهب دون ان تسمع رأينا ،

" على الأقل لن اموت جوعا ، ماذا عنك !! ستبقين تتجولين في المقاهي دون فائدة"

_" انا سأذهب لن ابقى في هذا الجهل والفقر ، سأموت الما إن بقيت "

" فلتذهبي الى الجحيم " فقدنا صوابنا وبدأنا في العراك قاطعنا ابي بصراخه" توقفو ، كفاكم عراكا ارتحنا من صراخ امكم بدأتم انتم!! , وانت اريانا سكوتي عن قرارك لا يعني انني موافق على ذهابك من الآن

فصاعدا احترمي اختك ، فهي تعمل لتطعمك ، ضعي كلامي في الحسبان ولا تكوني ابنت امك المثالية"

"نعم انت محق ابي ، الينار ذهابك لن يفيدك فأنت لن تتعلمي الأتقان مثل يوليا ، فقط ستعملين بالقراءة والتصحيح ويدفع لك القليل من المال لن يكفيكي لاستأجار بيت فقط ،

نظرت إلينا إلينار تحرك رأسها رافضة ، شممت رائحة الصدمات لكن الأمر انتهى إنتهت الصدمات وبقي العراك تحدثت بصوت منخفض " ذهابي لم يعد الى العمل فقط"

" ماذا إذن" لم تجب انزلت رأسها وبدأت تسيل الدموع ونحن ننتظر جوابها بفارغ الصبر " إلينار!! ماهو سبب الذهاب إذن ، اجيبي"

_ابي " هل عرض عليك السيد ليونيد عملا آخر ؟"

_الينار: " انا...انا سأتزوج السيد ليونيد"

لا اصدق ما سمعته الآن اشعر كأني سأصاب بالدوار ، لا اود تقبل اي صدمة ، " ماللذي تهذين به يا غبية الا تسمع أذناك ما تقولين ، هل اصابك الجنون وتريدين قتلنا ؟! "

_" انا ..." لا تنطقي بأي كلمة ، ممنوع خروجك من البيت من الآن فصاعدا ، انت غبية غبية لدرجة انك .."

" هو اليس كذلك هو من نصب لك هذه المكيدة ليأخذك ؟! "

اريانا كانت تنظر الينا ونحن نتشاجر وهذه المرة فضحت ما كانت تخفيه الينار" اختي وجد!! اليوم قابلنا رجلا واعطاني عملة " للحظة تذكرت!! اليوم

" قابلت ذلك الرجل اليوم ، لا تنكري اتيت امام المقهى ولم اجدك ، وانت بكل حرية تقابلينه في اماكن بعيدة عن الشارع ؟؟؟!"

_" كفي عن ملاحقتي!! لا تتدخلي في قراراتي ، كما اني انا من ذهبت إليه وعرضت عليه الأمر هو لم ينصب شيئا ، دائما تضنين ان الناس يفكرون مثلك، اخرجي من عالمك الأسود او اخرجي من هذا البيت اصبحت لا تطاقين"

" كلي عن غبائك ولن اتدخل مرة ثانية ، ابي ، لا تكتفي بالسكوت ومسك رأسك بهذه الطريقة تحدث إليها ، رجل بعمر والدك تعرضين عليه الزواج اليس لديك خجل!!"

_" انت من دفعني لهذا ، لو منذ البداية سمحتم لي بالذهاب لكنت اعمل الآن ، لكنك وبفضل غيرتك دمرتني "

" تشبهين امك ، لا عقل ولا تفكير ترين المال والشهرة ولا ترين العائلة "

كان كلامي كالسهام المسممة ارمي بها البنار كي تتراجع عن قرارها لكن جملتي الاخيرة اسكتتها ثم حملت همها وذهبت الى الغرفة ، ابي لا يتحرك ماسكا رأسه من شدة الصدمات التي يتعرض لها " ابي ! انت لم تقل شيئا ، هل ستسمح لها ب ..بالزواج ؟ "

_" لا تعيدي هذا الأمر ثانية ، ولا تتحدثي معها إطلاقا ، سأحدثها انا في الغد "

" دائما تقول لي انك ستحدثها لكنك لم تفعل "

نظر الي بغض ب" هذا ليس من مسؤولياتك إهتمي بنفسك هي ليست رضيعة "

"ابي!! "

_" لا تناقشيني زادت الأمور عن حدها ، كل واحد في البيت اصبح مسؤول عن نفسه ، سأحدثها وإن ابت فلن اقف في وجهها ، لم اعد احتمل الصراخ" ،

" كيف امكنك قول هذا ، هل ستدعها تذهب وتعرف انها ستندم!؟ "

_"فلتندم وتعود لايهمني المهم ان تبقى ساكتة "

" ماذا لو كان هذا فخ نصبه ليونيد"

_" ماللذي سيفعله مع فتاة فقيرة وعاجزة ، لن يستفيد شيئا "

" لم اقصد هذا يا ابي.. قصدت لو كانت تلك المرأة" اتسعت عينا ابي وبدأت الذكريات تتسارع في ذاكرته عقد حاجبيه وامرني بالذهاب الى غرفتي ، انصرفت دون ان اتفوه بكلمة ، دخلت غرفتي كانت النيار منكمشة تحت الغطاء ، غلب علي النعاس لم انم منذ البارحة ، اغمت عيني وأفقت في الصباح لم اجد النيار في الفراش ، نهضت بسرعة من الفراش القيت نظرة على غرفة ابي لم اجده وحتا اريانا غير موجودة لبست حذائي وخرجت الى المحل وفور وصولي كان السيد رائف منزعجا ولم يتلفظ بكلمة ، " سيد رائف انا..لم انتبه وغرقت في النوم ، حتى ان ظروف البيت صعبة في هذه الفترة "

_" مثلا:"فاجأني العم رائف وكانه لم يصدق ما قالته واراد ان يستفسر اكثر" مشاكل كثيرة تراكمت على بعضها"

_"إذن إذهبي الى البيت وحلي مشاكلك ، لست طبيبا نفسيا حتى تخبريني بهذا ، هيا لا اريد رؤيتك مرة ثانية هنا "

" سيد رائف تمهل قليلا ، اود تفسير ما كل هذا الغضب فجأة ، ارجوك إسمعني يا سيدي "

_" خذي ذلك الظرف هناك اجرك لشهرين ، لا تضيفي اي شيئ ، انصرفي "

خرجت مدمرة كليا ، ما كان قوتي اليومي فقدته في لحظة غفلة ، ماللذي سأفعله كيف اقول لوالدي _" وجد!!!" فجأة سمعت صوتا رقيقا يناديني إلتفت مهلا انها تلك السيدة الكريمة صاحبة البيت الفاخر مشينا انا وه ي" كيف عرفت إسمي؟! "

ابتسمت في وجهي وقالت" اخبرني به سيدك" ، اخذت نفسا عميقا واكملت "انتظرت كثيرا وصول الرغيف الى منزلي لكنك لم تأتي، لن أكذب عليك إنزعجت فأنا أحب الإلتزام بأوقا ت الأكل ولا احب التأخير، ذهبت الى المحل كل أشتري ، لكني وجدت المحل مغلقا، واثناء عودتي ناداني سيدك من بعيد فتح المحل وقال لي انك اصبحت مهملة هذه الأيام، سألته من تكون هذه العاملة اجابني بإسمك، عرفت انك صاحبة الإسم لانه اخبرني انك العاملة الوحيدة لديه وقبل مغادرتي المحل بدأ يهمس

بغضب ويقول سأطرد هذه الفتاة لن اسمح لها بالعمل ثانية ،ذهبت الى البيت تناولت الفطور ثم عدت كي اقابلك، لاني لا اعرف منزلك ولو طردك قبل ان اقابلك لن اتمكن من ايجادك،، ضحكت بلإستهزاء" ستجدينني بسهولة فقط أبحثي ان او هن بيت في الشارع ستجيني هناك، " إبتسمت وقالت " لكنك فتاة طموحة, لو كنت مكانه لما طردتك بل سأضاعف اجرك، " تفاجأت بكلامها فحتى انا لا ارى كل هذه الأوصاف في شخصيتي "انا اعمل مقدار عاملين لكني آخذ اجر عامل فقط وأحيانا لا يدفع ل ي ويتماطل كل اسبوع على الدفع من جهة إرتحت منه، لكني بحاجة الى العمل كي أطعم اخوتي ،" هذه المرة لم تبتسم وقالت لي بصوت منخفض"لهذا اردت مقابلتك،" ذهبنا الى منزلها وواصلنا الحديث هناك مر وقت طويل، استأذنت منها للخروج عدت المنزل وكانت الشمس مقبلة على الغروب، وصلت المنزل وهذه المرة عدت بالفاكهة غالية الثمن، كنت اتشوق لارى ردة فعلهم عند رؤية الفاكهة، كان ابي نائما في غرفته، والينار تسخن الحلي ب، ذهبت إليها" مهذا في الكيس، احضرتي الكثير من الرغيف؟ """لا، انها مفاجأة" ركضت اريانا مسرعة ومزقت الكيس تساقطة الفاكهة وتوزعت في ارجاء المطبخ ، بقيت الينار تغطي فمها من الدهشة لم تتوقع ان

احضر كل تلك الفاكهة ،اخذت اريانا موزة واسرعة لتوقظ والدي، جاء والدي ليعرف القصة ،" قابلت سيدة كريمة كنت اوصل لها الرغيف اليوم اخذتني الى بيتها لتتحدث إلي واعطتني هذه الفواكه الكثيرة هدية منها" سألتني الينار" ماللذي تحدثتما به؟ "نظرت إليها بتكبر لأشير لها بعدم التدخل" هذه مفاجأة ثانية سأخبركم بها بعد العشاء"حتا وإن كان الخبر ليس سيئا لكن الينار ستجعله سيئا لكي تنتقم هذا ما جعلني اخفي الأمر لبضعة ايام ،وهو وقت التفكير اللذي منحتني اياه

السيدة..السئ..انا نسيت ان اسألها عن إسمها لا اصدق كيف غاب هذا عن بالي جلست لساعات مع إمرأة وصفت لها ظروفي وادخلتها لخصوصيات بيتنا ولم اسألها عن إسمها او كنيتها، كم انا فتاة خرقاء ،

_"وجد..وجد "نادتني الينار وانا اجهز نفسي لاتحدث في الأمر ما دامت العائلة مجتمعة وعندما وصلت ا" _ اليوم ذكرى وفاة جدتي ، اعلم انك نسيتي لهذا اذكرك سنذهب الى المقبرة وتقومين بجميع العادات فأبي اوصاني بأن انبهك هذه سيغضبه وبالنسبة لطباعك المعكوسة اخفيها هذا اليوم كي ترتاح روحها ليس ككل مرة تختفين اثناء الذكرى " نسيت التواريخ من الأساس فاليوم الذكرى الحادي عشر لوفاة جدتي وككل مرة اذهب الى ذاك المكان المشؤوم اللذي ماتت فيه جدتي الى العالم الأسود

، اختف ى في ذلك العالم كل أمل ينسينا الهموم ، اول مرة أنسى هذا اليوم ، وانا في تلك الحالة فتح ابي الباب ونادانا مسحت دموعي وجففت عيني جيدا ، " صباحك ابي كيف الحال "

_" بخير يابنتي ، هل انتم جاهزون لنذهب "

" الآن!!!" سألته متفاجئة لأني لم اجهز نفسي على الإطلاق كما اننا لم نضع في الحسبان ماللذي سنتناوله في الغداء اجابني ابي بدهشة _" طبعا الآن ، دائما نذهب في الصباح ، آاه لأنك لست معتادة على الذهاب معنا ، يجب ان تلتزمي بالذهاب فجدتك ستشتاق لك كثيرا "

"تسبيه وهل هي مستيقظة" قلت ذلك بكل سخرية لكن لا يبدو على ابي انه قد تفهم الأمر ، لا علينا ذهبت لإصرارهم فقط فأنا لا أؤمن انها ستشعر بذهابي الى قبرها ، في اللحظة التي رأيت فيها قبر جدتي تذكرت كل تفصيل على وجهها تلك التجاعيد الجميلة كانت تتحرك كلما تحرك وجهها ، رائعة انت ياجدتي ليتك كنت في بيتنا كي يصبح ليدنا سقف في بيتنا ، بدأ ابي بالتذكر والتحدث الى التراب بينما النار تربت على كتفه اما انا امسكت بكل دمعة تود النزول حزنا ، مر الوقت ونحن عائدون الى البيت وجدنا السيد رائف يمسك بيد

امه العجوز ذاهبا الى الكنيسة ، نظرت إليه بإحتقار وإبتسمت بسخرية ، كي لا يشعر بأنه دمر

حياتي بمجرد انه طردني من عمله ، " ابي اود التكلم معك لاحقا بأمر مهم ، هل ستبقى في البيت ؟"

_" إنتظري حتا اعود من العمل فلا شيئ نأكله " حسنا لا مشكلة دخلنا البيت اما ابي فتابع طريقه للعمل بقينا نفكر ماللذي سنأكله حتى مجيئ والدي لا شيئ في البيت ، فجأة تذكرت الأجر اللذي دفعه لي السيد رائف انه مبلغ لا بأس به ، " الينار إنتظري بالبيت سأذهب لاشتري ما نأكل وأعود ، ذهبت الى محل الرغيف وجدت عاملة جديدة في المحل كانت تبدو في منتهى النشاط والحيوية ، انها في بداية اسبوعها ، ستبدأ بالذبول عندما تدرك انها لن تأخذ اجرها متى ارادت ، " اعطني اربع رغيفات"

_" بكل سرور سيدتي دقيقة وستجهز "في حين نضج الرغيف اردت الإستفسار عن كيفية وصولها الى العمل وهنا كانت المفاجأة " ، انا لم ارك من قبل في هذا المحل هل انت عاملة جديدة ؟"

_" نعم لدي اسبوع في العمل هنا "

" اين تسكنين ؟" _" اووه انا منزلي بعيد من هنا اسكن في الشارع الموازي"

" رائع لكن كيف وجدتي العمل ؟ "

" منذ شهر تقريبا قابلت السيد رائف في الكنيسة مع امه وكانت امرأة مسنة نسيت حقيبتها على الكرسي وانا انتبهت لذلك لحقت بهما قبل الدخول الى الكنسية

واعطيتهم الحقيبة وعندما خرج وجداني في الحديقة الأمامية احدث العامل إبتسم معي وشكرني مرة ثانية وعندما سألني إن كنت اعمل اجبته اني ابحث عن عمل بالإعتناء بالحديقة لكنهم رفضو ، في تلك اللحظة عرض علي العمل عنده لكني رفضت دون تفكير لأن المكان بعيد والأجر قليل ، اصر علي أن افكر في الموضوع واعطاني مهلة للتفكير اسبوعا كاملا ايضا عرض علي عملين بأجرين ولأن ظروفي ليس جيدة هذه الفترة قررت العمل وها انا همه "

" قصة مؤثرة همه ،إذن انا صاحبة مبررات يا وغد" قلت ذلك بصوت منخفض لم تتمكن الفتاة من فهمه

_" عفوا!! "

" لا عليك ، الم تجهز الرغيفات ؟ "

_" دعيني اضعها في كيس"

إذن لم يكن الموقف مجرد لحظة غضب بل كان يخطط مسبقا لطردي ، ومع هذا ضاعف لها الأجر ، رجل حقود بلا رحمة ، إشتريت الحليب و بعض الفاكهة وعدت الى المنزل ، " الينار !! "

_" ماذا! انت إشتريت كل هذا الطعام ؟! "

" نعم لكن خطر ببالي شيئ ، انا اعرف كيف يصنع الرغيف ، تعلمت ذلك من السيد رائف مارأيك لو نشتري الطحين والملح ونعد الرغيف في البيت بقي لدي بعض المال يجب ان نستغله ولا نهدره "

_" فكرة جيدة لكن ليس لدينا فرن وسعره مرتفع في السوق"

" ذات مرة إنطفأ الفرن فجأة فطلب مني السيد ان اجلب له صينية حديدية سميكة كان يضعها في القبو طهونا عليها الرغيف لا فرق بينه وبين الفرن ، لو تذهبين في الغد الى السوق وتبحثين عن ما يشبهها انظري الى اسعارها جيدا إن وجدناها رخيصة سننتقي واحد " _" انت من تعرفين شكلها جيدا ، إذهبي انت بدلا مني ، "

" انا..لدي ما اخبركم به في المساء ، المهم ضعي الحليب ليسخن, ساقطع الفاكهة"

اخشى ان لا تسير الأمور كما اريد واواجه المشكلات بسبب ما ساقوله بعض الوقت في التفكير حتى جاء اب ي" مرحبا ابي!" كان يحمل كيس حليب وينزل رأسه إحراجا ، " تعال اجلس سنتناول العشاء ،الينار احضري الحليب والرغيف "

_" من اين لكم بهذا ؟!" سألني ابي وعلامات التعجب في وجهه" دفع لي السيد رائف اجر شهرين عندما طردني من العمل ذهبت اليوم وإشتريت به هذا وبعض الفاكهة"

شعر بالارتياح بعدما سمح كلامي ، ثم جلس ينتظر وكانت هذه فرصة ذهبية لاحدثه بالأمر قبل ان تأتي إلينار" ابي اود ان اقول لك شيئ " نظر الي وهو يسمع" في اليوم اللذي طردني السيد رائف من العمل جاءت تلك السيدة الكريمة اخبرتك بهذا سابقا عندما ذهبنا الى بيتها اثنت علي ومدحتني بكل الأوصاف ثم عرضت علي عملا بأجر جيد ضعف أجر السيد رائف ما رأيك"

_" هذا جيد ، انا لا أمانع " عرفت انه لن يمانع في هذا لكنه لا يعرف العمل تفصيلا ، فكرت في نفسي وقررت ان اخبرك بتفاصيل العمل حتى جاءت إلينار ، احضرت الحليب والرغيف اووه يا لي حظي لن اتمكن من إكمال الحديث امام إلينار قبل ان يوافق ابي عليه ، لكن يجب ان اخبره اليوم كي ابدأ العمل في الغد ، ماللذي سينقذني من هذه الورطة ، تناولنا العشاء واحتملنا اصوات الأكل المزعجة التي تصدرها اريانا ، تنتظر منا التوبيخ كي تفصح عن بكائها وتتحجج بغياب امي ، الكل يسكت

وهي لا تزال تزعجنا حتى هذا الموقف ليس من حظي
كي اخبر والدي عن العمل ، سينفجرون بسبب اريانا ، "
اريانا! احضري لي بعض الماء ،" _" لا لن احضر ،
احضريه بنفسك" " ما كل قلة الأدب هذه " حتى هذا لم
ينجح معي انتهى الأمر سوف اتكلم ولم استسلم
لإعتراضه " ابي بخصوص العمل عند السيدة " لم
اكمل كلامي حتى وتصرخ الينار تكاد تفلت الكأس من
يدها" عمل!!! هذا ما تحدثتما به واخفيته علينا ؟! " "
اجل دعيني اكمل كلامي ولا تقاطعيني ابي العمل
سيكون في بيتها " _" لا مشكلة يا بنتي قلت لك اني لا
امانع " تبا لم يدعني حتا اكمل،

" انا سأبقى هناك حتى اني سأنام هناك سآتي فقط بإذن
منها ، اخبرتني انها لن تمنعني من المجيئ عندما تكون
في البيت " ادار ابي رأسه يمينا وشمالا رافضا الفكر ة
الينار:" مهلا لا يمكن ان تبقي عند امرأة لا نعرفها
خصوصا في الليل"

تجاهلت الينار لأني اعرف انتقامها ستبدأه هنا ، نظرت
االى ابي لم يتفوه بكلمة بعد اللذي قلته " ابي سأحاول ان
آتي مرتين في اليوم كي اتفقد البنات ، مارأيك"

_" ما ذا ستعملين في بيتها تحديدا"

" مشكلتها انها تعمل في احد المصانع وتحب ان تجد منزلها نظيفا ومرتبا كما انها تحب الإلتزام بمواعيد الطعام وتواجه صعوبة في شراء مستلزماتها بمفردها لهذا تريدني ان اقوم بتلك الأعمال ، ايضا اخبرتني انها ستعلمني القراءة في وقت فراغها ، من الأفضل لي ان اعمل عندها فهي امرأة متفهمة ومثقفة "

_" ما لزوم المبيت إن كان عملك في النهار"

" اه نعم تحدثنا عن هذا ، سانتهي من عملي بعد العشاء وتنظيف المكان والليل سيكون لهذا طلبت مني المبيت كي لا يصيبني أذى اثناء عودتي ، وانا رأيت ذلك مناسبا ايضا "

_" لا اعرف يا بنتي الأمر لا يبدو كما عليه ، اتمنى ان يكون هذا آمنا ولان ظروفنا صعبة لن امنعك من العمل فنحن بحاجة الى المال"

" نسيت ستعلمني طهو الطعام ايضا ، ربما في المستقبل افتح مطعما طغيرا اصنع فيه الطعام والرغيف ونعمل سوية ستتحسن احوالنا يا أبي انا متأكدة "

كان هاذا كسهم مسموم تجاه الينار فهي من منعها ابي من الذهاب مع السيد ليونيد " ابي كيف تسمح لها بالذها ...." لم تكمل حتا قاطعها والدي _" الينار اختك ستكون في الشارع المجاور لشارعنا تبعد بضعة امتار

عن البيت لا يسعني القلق بشأن عملها لكن امرك مختلف دعينا لا نسمع الصراخ الليلة فأنا اشعر بتحسن من الصداع مؤخرا "

_" سأسكت ، لكن هل سنبقى انا واريانا ننتظر ان تأتي الينا كي نأكل لماذا لا اعمل انا"

_" اختك كبيرة واعتادت العمل يمكنها الاعتماد على نفسها اما انت ابقي مع اريانا لا يمكن تركها في البيت بمفردها ، ولا تظنين اننا نذهب في الصباح الباكر كي نسلى ، نحن يابنتي نحتمل التعب والاذى ونعود بالقليل "

جعلني كلام والدي على وشك البكاء فهو يحمل الكثير من الأثقال على ظهره ويوصلها الى البيوت لكنه لا ينال إلا بضعة قروش ، سحقا على هذه الطبيعة كم هي خائنة

إلينار ؟؟ نمتي ؟

_" ليس بعد افكر ماللذي سأفعله بالغد كاول يوم لك في العمل"

" سيكون كل شيئ كما اعتدنا فقط ستنام معك اريانا إن قبلت هي طبعا "

_" لن انام بمفردي ، سأرى كل شيئ كشبح"

" عليك أن تعتادي، ومع هذا انا لم اكن افكر في عملي، كان يجب أن اكون متوترة او قلقة بعض الشيئ "

_" ماللذي تفكرين به دون العمل ؟ "

" امنا ....نعم ترى ماللذي تفعله و هل تشتاق إلينا، تعلمين ربما هذا الإبتعاد يجعل امي اكثر هدوءا عندما تعود"

_" ههه كيف خطرت ببالك!! هل بدأت تشتاقين لها "

"رغم كل شيئ وجودها في البيت ضروري ، ابي لن يحدثنا عن خصوصياته هو بحاجة لامي ولا تنسي اريانا، نحن لن نسكتها إن عاندت على امي "

_" لا عليك ستكون بخير ، انا اشك في إشتياقها لنا، هي من سنوات تود ان تبتعد عن مسؤوليتنا وتعيش الحياة التي تريدها "

" نحن بعيدون عن الحظ كثيرا حتا امنا تركتنا" ،

_" المهم ان يبقى ابي بجانبنا"

" سأتحمل كل شيئ إلا ترك ابي لنا ، لن يتركنا اراهن بحياتي إن فعلها يوما "

_" الن تنامي ؟ "

"بلى سأنام ، إن إفقت باكرا سأذهب الى عمل امي ، اود الحديث معها لا يعقل أن تذهب ولا تسأل ولا ترسل رسالة لتطمئن "

_" مهلا ، لا داعي لكل هذا انسيتي انها منزعجة من الجميع لا تذهبي كي لا تغير مكانها بسببك ، دعيها على الأقل عندما تسوء حالة أريانا سنأخذها إليها "

"نامي الآن لديك الكثير من الأشياء لتفعليها غدا "

_" لم اكن اعرف ان لدي الكثير من الأعمال ، هل يعقل هذا "

" اخبرتك في المساء ، انسيتي ، ستذهبين الى السوق تأخذين اريانا طبعا ، تشترين حديدة الرغيف تلك وتشترين بعضا من الطحين والملح تخلطين الطحين بالقليل من الملح وتجمعين الخليط بالماء لتصبح لديك عجينة طرية جدا تلتسق باليدين تكورينها بيديك وتعجنيها وتضعينها فوق الحديدة "

_" نـاامـي انـا اشعر بالنعاس هـاااه"

"حسنا تصبحين على خير"

لاول مرة يطول حديثنا منذ ان كانت امي هنا وبعدها تشاجرنا وإستمر العراك الى أن جاءت تلك السيدة الكريمة فتحت امامي ابواب الأمل ، سيكون عملي عندها رائعا انا متأكدة من
هذا.....اغمضت عيناي ولم اذق طعم النوم حتا سمعت همسا" وجد! وجد! افيقي "
من!! م" من هنا!!" الصوت يأتي من خارج الغرفة ، ذهبتمسرعة لارى صاحب الصوت خرجت من الغرفة" من هنا!!" _" وجد! وجد! تعالي" بدأت قدماي ترتجفان انظر من الوراء ومن الخلف اسمع الصوت لكنه لا يزال بعيدا لا اعرف مصدره تحديدا " اين انت هيا اخرج وحدثني "

_" وجد! يا وجد! تعالي " كان الصوت يأتي من خارج البيت تقدمت رويدا رويدا نحو الباب وانا أسمع الهمسات ذاتها فتحته بدون ان اصدر صوتا وضعت عيني على حافة الباب المفتوح كي ارى مصدر الصوت لكني لم

ارى شيئا كان فقط ظلام أسود ، سواده كسواد الفحم اللذي نشعل به النار لنطهو الرغيف ، والريح تأتي بإتجاه الباب تكاد ترفعني الى الأعلى من شدتة ضربها واصلت فتح الباب كي ارى من الجانب الأيسر لكن لا شيئ سوى الظلام ، خشيت ان تمسكني يد ولا استطيع فكها ، او عنكبوت كبير يربط قدمي اووه مخيفف _"
وجد! وجد! إقتربي أكثر " " من انت من اين تنادينـي اظهر نفسك انا لا اراك ، " مهلا ماذاك الشيئ المضيئ من بعيد ، انه كشمعة تضيئ بلون ابيض ناصع ضوءها يخفت ثانية ويقوى ثانية تليها ، ماهاذا "هااي ماهناك ؟؟" إقتربت بضع خطوات لكني لم احدد جيدا ما يكون ذاك الشيئ" وجد!وجد! انت على وشكالوصوول "
إقتربت بضع خطوات اخرى وانا اقترب شيئا فشيئا حتى نادانـي صوت من خلفي ، ارتعش جسدي لان الصوت كان امام اذني مباشرة استدرت على مهل ، ماذا الينار ؟؟ " وجد!! أين انت ذاهبة تعالي
" اسرعت ناحية الينار بدأت الأر ض بالإنفتاح وانا انظر اليها حتا ابتلعتها الأرض كليا" إلينااار إلينااار، لالا لاااا"

" لاااااااا.....وجد وجد افيقي " اون الينار اين انا

_" لقد كنت تحلمين افقتني من نومي لكن يجب عليك ان تسرعي الى العمل قبل ان يفوتك الوقت"

" اووووه كان أسوء كابوس رأيته....انا في غاية السعادة لانـي لازلت بخير "

_" كنت تنادين شخصا" ....

" كنت انـاديك لقيد رأيت اشياء غريبة ورأيتك ونـاديتككثيرا ..ليس وقته الآن علي ان اسرع الى العمل" عندما كنت تصرخين لم اسمع اسمي لكنك نـاديتـي بإسم أحمد علـى ما اعتقد!"

" أحمد!!! انا لم أسمع بهذا الإسم من قبل ، إنـها مجرد أحلام لا علينا ، سأذهب الى العمل قبل أن توبخني السيدة الكريمة منذ اليوم الأول "

_" همه حسنا لا تنسي أن تسأليها عن إسمها ، فلقب الكريمة لا يروق لي"

" وداعا " خرجت من البيت الى مكان عمل امي مشيت كثيرا حتا وصلت الى ورشة الخياطة بالمدينة اخفيت ذلك عن اختي كي لا تقلق بشأن امي أردت التأكد من حالة معيشتها دخلت إليه سألت احدى النساء اللواتي تعملن معها لكنها انكرت معرفتها سألت الكثير هناك لكن لا جدوى لم اجد امي في تلك الورشة ترى اين ستكون إذا هي ليست هنا، الم تأتي معها إلينار عدت الى البيت مسرعة وقفت امام البيت كي ادخل لكني خشيت ان اسمع كلاما غير صائب سيجعلني في قمة الغضب، تذكرت كلام إلينار عندما اخبرتها اني سأذهب الى عمل امي كي اراها كانت مرتبكة للغاية، كيف لم انتبه على ذلك لقد كانت تمنعني من الذهاب، تعلم ان امي ليست بالورشة، تراجعت عن الباب وواصلت طريقي الى مكان عملي وانا امشي في الطريق تذكرت مدى الخوف اللذي إنتابني في ذلك الحلم ، لم يكن مخيفا الى هذا الحد ، من ماذا كنت خائفة ، لم ارى سوى شيئ ابيض ، وصلت بعد ربع ساعة او اقل الى منزل السيدة دققت الباب وانتظرت حتا فتحت لي وهي تبتسم كعادتها

_" علمت أنك ستقبلين عرضي ،اهلا بك"

شعرت بسرور داخلي لأن ظروفي ستتحسن كان ظاهر هذا القرار اللذي اتخذته سيغير طريقة عيشي الى الأفضل لكني لم اكن اعرف انه نقطة التحول في حياتي كلها

مر شهر على عملي عند السيدة لونا كنت اعيش افضل ايام حياتي كل شيئ تغير حتى اني لا ابذل جهدا كبيرا في العمل انام على سرير مرتفع بضع سنتمترات من الأرض بجانب مدفأة رائع استيقظ على صوت العصافير في الصباح ازيح الإزار لأسمح لضوء الشمس بالدخول أفتح النافذة ويأله من هواء أغير ثيابي وأرتدي معطفا رطبا منحته لي السيدة اتوجه لمحل السيد رائف لا أنظر لوجهه إطلاقا فقط آمره بإعداد بضع رغيفات اسرع الى بيتنا لأضع الرغيف قبل إستيقاظهم ، اعود الى منزل السيدة او بالأحرى منزلي هذا يشعرني بالفخر ، اجهز لها الفطور ، تستيقظ وتأكل وتذهب لعملها ، أبدأ في مراجعت الجريدة ببطئ لأني وبفضل السيدة لونا تمكنت من تعلم قراءة الكلمات السهلة وكتابة الحروف ، عادت السيدة لونا مسرعة الى البيت" اود منك ان توصلي هذا الصندوق الى بيت بالحي المجاور بسرعة وجد"

" حسنا ما اسم صاحب البيت ؟"

_" لا اعرف لكنه ترك عنوان منزله انه مكتوب على الصندوق هيا اسرعي ولا تتأخري في العودة كي تجهزي الغداء "

"لن اتأخر سيدة لونا ، الى اللقاء "

ذهبت الى الحي المجاور تفقدت العنوان" المنزل رقم 10 " تقدمت شيئا فشيئا كي ارى الارقام حتى وصلت الى البيت رقم 10 " عجبا هذا منزل عائلة ذاكر " ذاكر ذلك الولد المهذب اللذي رحل مع خالته منذ فترة هل يعقل أن يكونو قد عادو للعيش هنا ، إقتربت من الباب دققت ثلاث مرات لم يفتح احد عاودت الامر حتى سمعت صوت خطوات مسرعة إنفتح الباب اخيرا كان رجلا لكن هذا ليس زوج خالة ذاكر

" مرحبا ، السيدة لونا ارسلت لك هذا الصندوق "

_" اهلا بك ، ماذا يحوي الصندوق ؟"

" السيدة لونا مديرة المصنع اعتقد انك طلبته من هناك "

_" آاا نعم ، شكرا لك "

تركت الصندوق في يده وتراجعت للعودة إلفتت الى الخلف وجدته يحاول فتح الصندوق كم هو فضولي ،

" يا سيد ، انت لم تعطها إسمك "

نظر إلي بإستغراب" آا انا!! انا إسمي أحمد "

إتسعت عيناي وبدأت الكلمات تتشاجر لتخرج من فمي

تذكرت كلام إلينار " كنت تنادين بإسم أحمد"

تقدمت إليه وعيني لم ترف بدأت الكلمات تتصادم في ذاكرتي هذه لم تكن اول مرة سمعت فيها بهذا الإسم، إنه الإسم اللذي ناديت به اثناء نومي، وفي تلك المعركة داخلي، "وجد!! وجد" صوت ينادينـي...إنها إلينار حافية القدمين ، عينان واسعتين تكاد تخرجان من رشدهما، ماللذي اتى بها الى هذا المكان وبهذه الحالة نسيت كل شيئ حدث لي قبل دقيقة وأسرعت نحوها" ماللذي حصل لك، !!؟"

_" انه السيد ليونيد اتى هذه المرة بصورة لا تعرفه عليها"

اسرعنا الى البيت دخلت ، كان ليونيد يرتدي بذلة فاخرة مع تسريحة شعر منتظمة كغير عادته بجواره إمرأة تبدو من الطبقة الراقية ...ملامح وجهها ليست غريبة لكنها لاتتجاوز الخمسين من العمر كل هذه التحليلات مرت بلمح من البصر ، اريانا تقف على رأس السيدة وتحدق بكل تفاصيلها ، " ماللذي جاء بكما الى هنا.."

انطلق ليونيد في الحديث لكن السيدة منعته _" اعذرني قليلا سيد ليونيد....امم...اعتذر على هذه الزيارة المفاجئة

لكنني وقبل ان اعرفك بإسمي تحدثت الى أختك كثيرا وأعتقد أنها أرتاحت لحديثي...انا سيدتك لونا..."

" سيدة لونا.." قلت ذلك دون تفكير مسبق سحقا إنها تلك المرأة..." ماللذي تودينه منا!...لا اعتقد ان هذه الأريكة مناسبة لفخامتك هاه" قلت ذلك بكل سخرية لكني أخشى أن يحدث ما ببالي

_" تذكرتني بسرعة..لم اتوقع هذا..كنتي صغيرة عندما غادرتم القصر"

" تلك الصغير كانت تغسل ثيابك القذرة وتمسح حذاء زوجك..وتتحمل العنف..كيف تنسر سيدة شريرة عذبت طفلة...ما أكثر التجاعيد على وجهك..إمسحي على وجك كل يوم بالألماس اللذي تتفاخرين به عسى أن يجعلك شابة

"

_" لم تتغير وقاحتك منذ أن بدأتي التكلم وانت قليلة الحياء..لهذا لم اخترك كإبنة لي "

بعد أن شهدت إلينار كل ذلك العراك اندفعت لتقطع ما كنت سألكمها به من كلمات" وجد...يكفي نحن لم نجتمع كي نتعارك..السيدة لونا حدثتني بكل ما حصل قبل سنوات..بالتفصيل كيف كانت تعاملك وتعامل ابي حتا عندما ارادت أن تأخذني من أمي...ونحن هربنا من القصر..عرفت حقيقة كنتم تخفونها عني لكني لن أعاتبكم حتا ان مشاعري لم تنجرح لسماعي بهذا لان السيدة لونا جاءت لتأخذني معها الى القصر سأحقق كل ما حلمت به..."

بعد مرور ثلاث سنوات....

"أنا متشوقة لرؤية ابي..ترى هل قرؤو رسالتي ام لا!؟"

_" سيقرأونها أكيد آنستي..لم يتمكنو من الكتابة لهذا لم يرسلو لك ردا "

" الم نصل بعد!!"

_" سنصل لم يتبقى الكثير "

وصلت أنا والسيد ليونيد الى شارعنا..لم يتغير شيئ كل شيئ كما تركته قبل ثلاث سنوات..وصلنا الى بيتنا فتحت الباب ودخلت...لا يوجد أحد هنا..بل لا يوجد أثر لسكان في البيت

" أين ذهبت عائلتي!؟" .

ارتجفت يداي وانا ابحث في زوايا البيت عن ابي ووجد واريانا ، لا يوجد اثر لثيابهم ولا طعامهم ، للم اتمالك نفسي وبدأت الدموع تغطي ناظريي

_" آنستي لاتقلقي فلنسأل أحد السكان في الحي "

تكلم السيد ليونيد كي يهدأ من روعي ، لكن كلامه أخافني ، اخشى أن تكون إجابتهم قاسية ،

خرجنا رأيت والد يوليا اسرعت نحوه " هل رأيت عائلتي"

نظر إلي بإستغراب وسكت مدة طويلة وانا اكرر عليه سؤالي ثم اجابني بتردد " أ أ لا أعرف ربما تكون وجد تتجول في إحدى الشوارع"

اتجهنا الى منزل السيدة التي كانت تعمل عندها وجد وقفت امام الباب وأغمضت عيناي وبقيت أتمنى من كل قلبي أن أجدها هنا ، تراجعت لأترك لليونيد مهمة مواجهت الإجابة ، بعد ثلاث طرقات سمعت صوتا لأقدام بطيئة آتية بإتجاه الباب ليست وجد فهي سريعة..فتحت السيدة الباب

سألها السيد ليونيد عن وجد أجابته بكل غضب " لم تعد تعمل عندي" وقبل أن نكمل حديثنا أغلقت الباب في وجهنا

هذه هي السيدة الطيبة التي حدثتنا عنها وجد ، لم اتوقع أن تكون بهذه الدناءة ، بقينا نجول في الأحياء كي نجد

أثرا لها ، وفجأة جاءت مجموعة من الأطفال يركضون بفزع إصطدم أحد الأطفال بليونيد وتشبث به وهو خائف

" ماللذي يخيفك أيها الطفل ، اجابة الطفل" إنها الساحرة تود أذيتنا " ساحرة!!! في الحي!! لم أسمع بهذا من قبل نظر إلي الي السيد ليونيد وكأنه يستفهم مني الأمر أشرت إليه أني لا اعرف عن ماذا يتكلم ، تقدمنا ناحية الممر اللذي هرب منه الأطفال ،
لنجد..لنجد...وجد!!!!!

فتاة شقراء تجلس كالمتسولين ناحية ممر الخمر شعرها الأصفر كعش للطيور ، تلتسق بأطرافه أعواد واوراق الأشجار ، تخطي كتفيها بلحاف بني من القش يبدو ككيس من أكياس القهوة ممزق من كل الأطراف ، شاردة تنظر الى الجدار المقابل ، لا بل تنظر الى الرسم على الجدار ، وكأن فوقها سحابة رمادية تعيسة ، مكتئبة ، عابسة ، إقترب بضع خطوات ناحيتها ، لم تلتفت إلي ،

" وجد!" ناديتها بصوت منخفض وبقيت أرى إن تحركت لا لم تتحرك

" وجد وجد!! اختي" اتسعت مقلتاها وإلتفتت ناحيتي ، كانت متفاجئة لكنها لم تسعد بقدومي ، لم تتوقع مجيئي ولم تقرأ الرسالة هذا ما رأيته في ملامح وجهها .

إقتربت أكثر وجلست أمامها ،

لم تتفوه بكلمة ادارت وجهها نحو الجدار وأكملت تأملها ،

" ماللذي حصل!! اين ابي وأريانا!! لماذا انت هنا ، تبدين كالمتسولين"

" بل أنا كذلك " تفوهت بكلمات غير مفهومة توحي بأنها تأكد حالتها

" تكلمي لما تتحدثين بهذه الطريقة"

تقلصت جفونها وأمتلأت عيناها بالدموع عقدت حاجباها ، لم ارى يوما وجد بهذه الحالة رغم كل المعاناة التي عشناها كانت تحول حزنها الى غضب وحقد ، اما الآن ارى فتاة إستسلمت للحياة ، "وجد لا تبقي ما بداخلك ، تكلمي"

وضعت رأسها بين كبتيها وبكت بكت بشهقات المريض المعذب ، بكت كطفلة صغيرة وقعت أثناء لعبها ، في تلك اللحظة لم أعرف من تكون هذه الفتاة اليافعة، "توقعت عند مجيئي أن أجد حياتكم أفضل من هذا" قلت ذلك بنبرة يائسة ، أجابتني دون أن تنظر إلي ، "إذهبي من هذا المكان قبل يحل بك ما لا ترضينه ، "

" وجد!! ماللذي جرى اين ابي وأريانا ؟!" قلت وذلك وانا أصرخ كي اخيفها واضغط عليها لكن لا فائدة

رفعت رأسها ونظرت إلي" القصة طويلة وتعيسة لن تفرحك بقدر ما تحزنك "

خشيت من كلامها ان يكون قد حل مكروه بأبي ، بل تاكدت من هذا ، إرتجفت لاني لست على إستعداد لاي

خبر سيئ عليه ، " احكي لي ما حصل لم اعد أصبر يا وجد "

" بدأ كل شيئ عندما أصريتي على الذهاب مع تلك المرأة ، حضرت الطعام لأريانا وأبي وعدت الى منزل السيدة في الصباح نهضت باكرا وإشتريت الرغيف للسيدة وللبيت اوصل الرغيف اليها وتوجهت الى البيت فتحته إقتربت تفاجئت بأريانا منكمشة على الأريكة تضع رأسها على ركبتيها رميت الأكياس على الارض واسرعت نحوها لمسها ، كانت نائمة بحثت عن أبي لم أجده رججتها كي تنهض بمجرد أن فتحت عينها حتى إلتصقت بذراعي وهي ترتجف ، قلت لها ان تهدأ وتحكي لي ما حصل ، قالت لي أن أبي لم يعد منذ البارحة ، فزعت ومن خوفي خرجت وتركتها لوحدها ، بحثت في كل الأماكن ولم أجده ، " عدت الى المنزل لاتفقدها لم أجدها خرجت وسألت كل من مر على الشارع ، رأتني العمة اوركيدة ونادتني ، طمأنتني بأنها معها ذهبت لأحضرها ، جلست قليلا لان اريانا حدثت العمة اوركيدة بكل ما حصل لها ، عندما اخبرتها بأن علينا العودة الى البيت قالت لي العمة أنها تود الإبقاء على أريانا معها في البيت ، أثارت غضبي وأفرغت كل الكلمات في وجهها ورحلت ، عدت الى منزل السيدة كي

لا تنشغل لغيابي اخبرتها بأن أبي مفقود كما أخبرتها ، بما قالته السيدة أوركيدة ، وهنا كان الكابوس اللذي أخشاه ، بدأت تهدأ اعصابي و اخبرتني بأن العمة اوركيدة إنسانة طيبة تحب مساعدة الناس ونصحتني بقبول طلبها لأنه في مصلحة أريانا بأن تتعلم وتعيش حياة خالية من الهموم والمشاكل ، أنكرت كلامها ولم أقبل حتا أخبرتني بأن _وجد إن اوركيدة هي من ساعدتك أنت ايضا _تفاجئت بكلامها إلتزمت الصمت كي تكمل ما تقوله _تذكرين اليوم اللذي أتيت فيه لمقابلتك بعدما طردك السيد رائف من محل الرغيف ، كانت اوركيدة هي من طلبت مني ذلك لأنها تعلم بحقدك تجاهها ، ولا تلومك بل تتفهم حقدك ، اخبرتني كم انت مسؤولة وصابرة مع عائلتك وانا لم أستطع رفض طلبها لأنها أعز صديقة لي _ليتها لم تقل لي تلك الكلمات لأني كنت أقدرها وأحترمها لكن وجهها تحول فجأة أصبحت أرى وجه العمة اوركيدة أتلفت كل الديكورات وكسرت الصحون قلبت منزلها رأسا على عقب ، خرجت في قمة غضبي ، بدأت رحلة البحث عن والدي لكن في كل مرة أسأل يخبرونني بأنهم لا يعرفون شيئا حتى رفاق عمله رأوه يغادر مكان العمل في ذلك اليوم ، رغم كل ذلك لم أيئس ، ذات مرة صادفت فيها رجلا إسمه أحمد اتى إلي كنت شاردة الذهن حينها ولم أشعر بوجوده حتى اصدر صوتا بحذائه ، جلس بجانبي

وسألني عن مشكلتي وانا حدثته لأني كنت بحاجة لمن يساعدني فقد عجزت لأول مرة ، بدأنا نبحث عن والدي وفي كل مرة ألحظ تصارفات غريبة يقوم بها ، كان يؤمن بأشياء لا نراها ويدعوها لتقدم العون لنا لنجد والدي ، مرت ايام ولم نجده لكنه لم يستسلم في الدعاء، رأينا رجل جاء للعمل وكان مألوفا سألته إن كان قد رأى والدي قبل إختفاءه وفعلا اخبرنا بأنه تعرض لحادث ادى به الى فقدان رجله اليسرى ،اخذوه الى الطبيب ليعالجه لكن الطبيب رفض معالجته لأنه لا يعمل بالمجان فأخذه صديق لي ليعتني به حتى مجيئ احد افراد عائلته لأخذه ، لم استوعب إن كنت سأفرح أم أحزن ،ذهبنا الى منزل صديقه إستقبلنا وعند دخولنا وجدت ابي يصرخ من الألم والدماء جفت على ملابسه اخذناه الى البيت ، غادر أحمد ناديت إلينار وبقينا بجانب والدي كنت أسهر الى جانبه حتى طلوع النهار ،لايرى النوم ليلا يظل يصارع الألم والحمى وحالته تزداد سوءا يوما بعد يوم ، لم يكن لدينا المال الكافي لشراء الدواء حتى الأطباء رفضو معالجته بالمجان لأن علاجه مكلف ،كان يتمنى الموت في كل لحظة يشعر فيها بالألم ، وأنا كنت أتعذب معه في كل لحظة ذات يوم اراد ان يمسك بيدي لينام وانا من شدة التعب نمت ، نهضت في الصباح كان باردا جدا ، لا يشكو من أي ألم نائم بسلام

بكيت كثيرا لكني فرحت لراحته ،أعلنا موته ودفناه جانب قبر جدتي "

كنت انتظر منها أن تخبرني بأن حاله تحسن لكني تفاجئت بأن حياة والدي إنتهت بكل بساطة " وجد!! هل مات أبي!!" رميت بنفسي على الجدار وبقيت أبكي لوقت طويل يحاول السيد ليونيد أن يهدأني لكني لم اسمع له وواصلت البكاء والتحسر بينما وجد كانت كالشبح تهمس " هكذا أفضل له ، لقد إرتاح من ألمه ، انا فرحت لأجله"

هل تكتبين روايات مثل التي يكتبها نازو

_"آااااه...ليتني اتمكن من كتابة روايتنا اغير فيها الواقع الذي نعيشه ، احذف الأشخاص اللذين اذونا ، وارسم اجمل بيت نعيش فيه واصف التعابير السعيدة ، ولا اتحدث عن أي معانات ، اقول بأننا إشترينا وأكلنا ولا اذكر اي مصدر للمال ، لا عمل ولا تعب ، كم هي رواية خيالية صحيح!!"

" إذن من يكتب هذه الرواية التعيسة لنا .....اود مقابلة هذا الكاتب اللذي أبدع في تعذيبنا "

" هههه اضحكتني ، ربما لو لقيت هذا الكاتب لشكرته لأنه جعلني أكثر فرد منطقي في بيتنا "

" بالعكس فأنت اضعف فرد بيننا ، لهذا كتب بأنك ستحققين حلمك لكي لا تموتي من القهر ، او نوبة صرع حادة تجعلك تفقدين عقلك كليا "

" دائما تعندين وترين من حولك ضعفاء ، وجد!! أريد أن ارى الى أي مدى ستبلغ قوتك "

" قوتي تمكن في أني على قيد الحياة منذ اكثر من عشرون سنة ، "

" من هناك!!"

"انا الينار ،عمتي اوركيدة"

فتحت الباب الحيرة في ملامحها "الينار بنتي اهلا بك!! كيف حالك"

"لست بخير! اود لقاء اريانا! علمت انها تعيش معك منذ فترة اود الاطمئنان عليها"

"إنها في الغرفة ،لكنها ليست بخير منذ ان احضرتها الى بيتي وحالها لا يتحسن بل يسوء كلما مر الوقت"

ذهبت الى الغرفة وكان الباب مفتوحا رأيتها او بالاحرى رأيت جسمها تحت الغطاء منكمشة! اقتربت شيئا فشيئا

" اريانا!! هل انت مستيقظة ؟ هذه انا الينار"

رفعت الغطاء ونهظت من على الوسادة وهي تنظر بدهشة

"اختي!!" حظنتني بكل قوتها وهي تبكي وتردد " مات والدنا!! مات ولم يبقى لنا احد"

ربت على ظهرها اواسيها وأهدئها " لست وحدك نحن معك"

ابتعدت وبدأ الغضب يغير مزاجها ،"من تقصدين بنحن ؟!"

"انا معك ووجد موجودة ايضا"

صرخت غاضبة في وجهي "تلك القاتلة!كيف يمكن لقاتلة ابي ان تكون بجانبي" "هي من اوصلنا الى هذه الحالة! هي من جعلنا دون اب" صدمت للحظة وبدأت الوساوس تخطر على بالي منذ ان قابلت وجد وهي في تلك الحالة ، لا مستحيل ، هذا لا يمكن ، اكثر بناته حبا

له يستحيل ان تقتله " ماللذي تهذين به اريا إهدئي وتكلمي بوعيك"

"انا اعي ما أقوله يا الينا ! هل سألتها كيف قضى ابي تلك الليلة ، هل سألتها إن كان القليل من الحمى قتلت والدي بعد ان كان حاله يتحسن!؟ هل سألتها إن كان حزنها على موت والدي ام ضميرها الميت ؟!"

"صغيرتي لا تتسرعي كيف عرفت انها من قتله ؟!"

"سمعتها تحدثه وهو منتهي ،كانت تردد اشياء غريبة ك ارحتك يا ابي ، لم ابقي الالم ليعذبك"

العمة اوركيدة تعلم كل شيئ عندما ساءت حالتي اخذتني من ذلك البيت تركتها هناك لتعيش العذاب ويكون لها السجن الابدي

"اريا صغيرتي عليك ان تكوني قوية! انت تعرفين كم وجد تحب والدي وتتحمل كل شيئ لراحته لا يمكن ان

تفعل هاذا اكيد هناك حلقة مفقودة من تلك الليلة او انت فهمتي هذيانها بالخطأ "

"قلتها بعظمة لسانك الينا ،تتحمل كل شيئ لراحته حتى موته "

تركت اريانا وخرجت مسرعة لاعود لوجد واعرف كل القصة

_" هل يمكنني التحدث معك لبضع دقائق"

" هاه تشبهين امي كثيرا ، "

_" وجد انا امك لا ...

" توقفي ارجوك...لا يمكنك الذهاب في اي وقت والعودة دون ان يتغير شيئ ، امي لم ترحل من البيت

فقط ، بل رحلت من كل الذكريات التي جمعت بيننا ، مثلما إستطعت الذهاب نحن إستطعنا النسيان ، لا تعودي لتعود معك الذكريات السيئة ، نحن لم نعد بحاجتك "

_" بنتي ارجوك إسمعيني انا لم آت لأذهب من جديد ، لدي بيت وعمل جيد أود أن نجتمع من جديد كعائلة "

" جمعت بضعة عملات كي تنقذينا من الشارع!! هاهاها ابكتني هذه المرأة من الضحك "

_" إجلسي لنتحدث قليلا ، بضع دقائق وبعدها إفعل ما شئت انا لا انوي ان آخذك معي غصبا "

" سأجلس على الرصيف لكن لا أظنك تستطيعين الجلوس ، ستتسخ هذه الملابس الفخمة "

_" ليست فخمة إنها عادية ، هذا ليس موضوعنا "

" كم رجلا قابلت الى الآن!!؟"

_" وجد!!!! كيف تتحدثين مع امك بهذه الوقاحة "

" وقاحة!!! وأمي!!! ههه هل بالغت في الحديث ؟؟ لا اظن ذلك ، كنت في حانات الخمر تعملين ليلا ونهارا وحولك رجال لا يعدون..تفاجئت صحيح!! لم تتوقعي ان ابنتك ستجدك في ذلك المكان ،، لم تتوقعي انني سأبحث عنك...متحمسة لدي بيت وعمل.. هل تسمين ذاك المكان عمل...انت لا تعملين بل هربت من الفقر لتصبحي قمامة يتسلى بك الضعفاء ويرمون عليك العملات وانت تجمعينها من تحت اقدامهم وتظنين نفسك تعملين..اغربي عن وجهي ولا تسألي عنا "

"وجد لا تكوني فضة في ما تقولين ، مهما قلت لن تتغير حقيقة اني امك وغبت لبضع سنوات ، فعلت كل شيئ لأجل ان نجتمع كعائلة من جديد ،دون معانات "

"حسنا كيف نجتمع!وابي تحت التراب!؟"

تفاجئت صحيح!!لم تتوقعي ان يموت الرجل اللذي طعنت شرفه ودمرتي ذرة الأمل التي كان يتمسك بها وتقفين اليوم لتتحدثي عن العائلة وانت لاتصلحين لان تكوني ام لثلاث بنات دعك مني اعلم ان لا علاقة بيني وبينك ووحده ابي من كان يجمعنا تحت سقف واحد ، ماذا عن الينار او اريانا التي تركتها برعما تبكي على غيابك ،كذبت عليها الف كذبة كي لا يسود قلبها مثلما إسودت حياتنا ، لا مكان لك بعد الآن وليس لديك بنات ، لو فكرت في هذا قبل ان تختاري طريقا لا عودة منه ، الشيئ الوحيد اللذي تمسكت به في هذا العالم هو سقف بيتنا ، عندما توقدين النار كلما انطفأت ولا نشعر ببرد الشتاء وابي عمود البيت ،اما اختاي فكانتا الفرحة التي نشعر بها ، الآن إنتهى ذلك البيت ولن تعيدي الزمن الى الوراء ،فعودي الى حياتك التي تسعدين بها قرب القرف ،ودعينا نستمر في خلق الذكريات المزيفة كي نبقى على قيد الحياة

"وجد ،انا لن اعود الى تلك القمامة هذا وعد مني لك ،فقط دعينا ننسى الماضي ونعيش بسعادة كي يرتاح والدك تحت التراب"

"ابي مرتاح لا تفسدي عليه مماته كما افسدت حياته"

"ساذهب لكني سأعود ،يوما، اتمنى ان تغيري رأيك"

"ليتك مت بدلا من والدي ، لكنا اقل حزنا"

"وجد!!!"

ذهبت الى مكان وجد ، حالتها كما هي ،لا تبحث عن طعام ولا مؤوى ،اقتربت منها لكنها لم تندهش توقعت مجيئي على الاغلب ، كأنها تراني دون النظر الي

"الن تقولي مرحبا لاختك ؟!"

"اصبحت اشم رائحة والدي في كل مرة تقتربين فيها ، ولن اتفاجئ لانه لن يعود"

"وجد اود سؤالك اجيبيني بالحقيقة رجاءا"

"اعلم ما ستسألين ، وانت تعلمين ما أقول ،لماذا نكثر الحديث ،اصبح يرهقني"

"انت الان تنكرين إفتراء اريانا ،صح!"

"اردت معرفة الحقيقة ،اريانا تجد الحقيقة في اني قتلت والدي وجعلتها بدون اب ،وانا اجد الحقيقة في اني فعلت الافضل بالنسبة لوالدي ،فلم يعد يحتمل"

"و.. ق..ق...قتلته!!"

""لا احد يرفع اصبعه ناصحا لي وكأنه من شهد على معاناتي, انتم ترون السواد في قلبي ،لكني لا أرى بياض قلوبكم"

ساصاب بالجنون لا اصدق آخر شيئ توقته هو هذا ، وجد جعلتنا يتاما وحملتنا هما فوق همومنا "لا اصدق ، ارجوك قولي لي انك لم تقتليه ،ارجوك يا وجد ،اكذبي علي او افعلي اي شييئ كي ارتاح"

....بعد ثلاثة ايام

آنستي الينار كيف حالك!!

"انا اصبحت افضل حالا شكرا لك سيد ليونيد"

"السيدة قلقة عليك كثيرا وتخشى ان تمرضين ،طلبت مني التحدث إليك بشأن ما حصل"

"اختي قتلت والدي ،واختي الخرى اصبحت طريحة الفراش منذ سنوات وانا لا علم لي بشيئ ،وكل هذه الصدمات لم استطع نسيان ماحصل ، الاحداث تتكرر في داخلي وكأنها مجموعة شحنات سالبة اطعن بها"

"لا اظن ان هناك فتاة تقتل والدها عمدا ،ربما حصل شييئ"

" لم يحصل يا ليونيد تظن انها قد اراحته من الالم وجعلتنا نتألم ،دمرت بيتنا"

"اود قول شيئ لكن اتمنى ان لا يساء فهمي ، اعتقد ان اكثر شخص مريض ويتألم هي وجد"

نظرت اليه بتعجب كيف يتحدث هكذا على قاتلو

"وليس منذ سنوات بل منذ ولادتها ، اختك لم تعش طفولة ولا مراهقة ولا شباب ، انها صغيرة ومع هذا ترونها كبيرة لانها جمعت كل السواد من حولكم وضحت بكل شيئ كي لا تمرو بلحظات سوء ، انا ولدت في هذا القصر وكانت اول مهمة لي ان اراقبك واهتم بك كي تصبحي ابنة سيدة هذا القصر ، وطوال الوقت كنت الاحظ وجد ، انت كنت تلعبين بالدمى وهي تمسح الأحذية ، تراقب دميتك ولا تلعب ، إنها لا تعرف اللعب حتى!! بعد هربكم كانت مهمتي الثانية هي البحث عنكم ، وعندما وجدتكم كانت مهمتي الثالثة هي مراقبتك ،فراقبت كل عائلتك ، وكانت هي الوحيدة التي تخرج من ذلك البيت دون ان تتنفس ، تباشر في العمل دون توقف ،بينما كنت تقرأين الجرائدة التي اضعها لك في القمامة ،هي لم يكن لديها الوقت لنفسها ابدا ، تعودين وتجدين ما تأكلينه، بائسة حياتها واعتادت على ذلك ولم تشتكي، وهذه هي مهمتي الخامسة، ان اعيد ما افسده الماضي بينكم"

"كنت انت من يضع الجرائد في القمامة؟!"

"طبعا، هل تتوقعين ان البشر يرمون ورقة مكتوب عليها خبر ؟! "

"لم تخبرني عن مهمتك الرابعة!"

"اعتقد انها ليست مهمة لكي نتحدث عنها "

الآن ارتاحي وانا في الحديقة إن احتجت لاي شيئ

"سيد ليونيد!! خذني عند اختي"

ذهبت رفقة السيد ليونيد إلى المكان اللذي تبقى فيه وجد ، ولكن لم نجدها سألنا بعض الاطفال عن ما إذا رأوها لكنهم انكرو رؤيتها منذ يومين تقريبا

"سيد ليونيد اذهب وابحث في الازقة الاخرى وانا سأبحث في المزارع"

" سيكون الامر خطيرا عليك آنستي ، لو نعود للبيت ونرسل مجموعة من الرجال للبحث "

"لا لن اعود على اخذ اختي من هذا المكان بأسرع وقت ، هي لا تبتعد كثيرا ، ستكون في مكان ما هنا "

" حسنا كوني حريصة كي لا توبخني السيدة "

" لا تقلق معتادة على الذهاب الى المزارع في السابق "

انطلقت في البحث عليها وانا اناديها في كل مكان بحث بحثت حتى اقتربت من شجرة الزيتون الكبيرة التي كان ابي يأخذنا عنها ويرفعنا كي نقطف الزيتون ، ذهبت وحين إقترابي وجدتها ، سأصدق انها تقطف الزيتون ، مرتفعة عن الارض كثيرا لكن الحبل الملفوف حول رقبتها من حملها هذه المرة وليس والدي ، تغير لونها كثيرا نائمة ، جائعة ، روحها الرقيقة لم تتحمل رغم قساوة الحياة

عدت ادراجي وانا احاول التقبل!!

"آنستي لم نجدها في الازقة ،تأخر الوقت لنذهب الى القصر ونعود في الصباح"

" لا تتعب نفسك لقد وجدتها "

"تحدثتي معها ؟!"

" نعم..لكنها لم تسمعني "

"لازالت مكتئبة!؟"

"لا ، كانت مرتاحة كثيرا ، لكنها كعادتها لا تنتظر مساعدة احد ،في حل مشاكلها ، الآن فهمت ماللذي شعرت به وجد عندما مات والدي!! هي لم تقتله ولكنها تقبلت موته لأنها تحبه "

" جيد إذن على الأرجح انها ستغير رايها وتبدأ حياة جديدة "

" لا اعتقد هذا "

وكأنها تقول.. فضلت الموت وتركت لكم الحياة افعلو ما تشاؤون،من قذارة لكن اجسادكم ستدفع الثمن غاليا"

" وجد نسيت محو الماضي فدفعت الثمن مرتين"